المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣٢
كليّة اللغة العربية
قسم اللغويات

لغات القبائل العربيّة في الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ
(دراسة لغويّة)

رسالة علميّة مقدّمة للحصول على درجة العالميّة العالية (الدّكتوراه)

إعداد الطّالب:
محمّد بن يونس هاني

إشراف الأستاذ الدّكتور:
عمر علوي عبد الرّحمن بن شهاب

العام الجامعيّ: ١٤٣٨/ ١٤٣٩هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣٢
كليّة اللغة العربية
قسم اللغويات

لغات القبائل العربيّة في الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ
(دراسة لغويّة)

رسالة علميّة مقدّمة للحصول على درجة العالميّة العالية (الدّكتوراه)

إعداد الطّالب:
محمّد بن يونس هاني

إشراف الأستاذ الدّكتور:
عمر علوي عبد الرّحمن بن شهاب

العام الجامعيّ: ١٤٣٨/ ١٤٣٩هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الرّحمن الرّحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، منزل الكتاب العظيم بلسان عربيّ مبين، تبصرة وذكرى لأولي الألباب. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ الرّوم: ٢٢، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، مادامت السّماوات والأرض، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإنّ من فضل الله تعالى عليّ أن جعلني من خَدَمة العربيّة، التي خصّها من بين اللّغات بأن جعلها لغة كتابه العزيز، حيث قال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزّخرف: ٣؛ ولذا نالت علوم اللّغة العربيّة كغيرها من العلوم الشّرعيّة نصيباً وافراً من الدّراسات العلميّة المتخصّصة، ومنها دراسة اللّغات واللّهجات العربيّة القديمة منذ زمن بعيد؛ إلاّ أنّ هذا الاتّجاه في دراسة اللّغة ما زال جديراً بالبحث في مستويات اللّغة على اختلافها.

ونظراً لحاجة المكتبة العربيّة إلى بحوث في تلك الدّراسة، وبخاصّة على المستوى اللّغوي للقبائل العربيّة؛ لما لها من اتّصال وثيق بعلوم القرآن وقراءته، تتجلّى فائدتها في توجيه قراءة، أو حملها على لغة من اللّغات العربيّة، كما قال رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-: (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسّر منه).

ويتحقّق مع هذا النّوع من الدّراسات إلقاء الضّوء على ما يصادفنا من تعدّد الوجوه في قضيّة من قضايا اللّغة، وتفسير بعض الظّواهر اللّغوية؛ ونظراً لذلك رأيت أن يكون موضوع بحثي، ومحلّ دراستي كتاب: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) الذي يعدّ مصدراً من أهمّ مصادر الدّراسات اللّغويّة القرآنيّة، فكان الموضوع: **(لغات القبائل العربيّة في الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ، دراسة لغويّة)**.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهميّة الموضوع وأسباب اختياره:

من المسلّم أنّ شرف العلم من شرف المعلوم، وليس هناك أشرفُ ولا أعظمُ من كتاب الله تعالى، الذي قهر به أرباب الفصاحة، وعجز عن مجاراته أئمّة البيان، وشهد له من سمعه بالحلاوة، والطّلاوة، والبيان، ولم يزل العلماء منذ أن أنزل القرآن إلى اليوم يستخرجون منه أحلى درر، وأبهى صور.

ومعلوم أنّ دراسة لغات العرب أمر له أهميّته؛ وذلك أنّ القرآن الكريم يعدّ المصدر الأوّل في الاستشهاد عند اللّغويين لتقعيد قاعدة، أو تأصيل مسألة، والقرآن الكريم نزل بتلك اللّغة الموحّدة المختارة وهي لغة قريش، واختار الله سبحانه من لغات العرب أجمل ما فيها؛ ولذا لم تكن القراءات القرآنيّة على درجة واحدة، فمنها المتواتر، ومنها الشّاذ، وكلا هذين القسمين يعدّ مصدراً من مصادر الاستشهاد عند اللّغويين-أيضاً-. وهذا يدلّ على مدى أهميّة تلك الموضوعات التي تتّصل بالقرآن الكريم وقراءاته.

أمّا أسباب اختياره، فيمكن تلخيصها في النّقاط التّالية:

١- تعلّقه بالقرآن الكريم، فهو دستور المسلمين.

٢- أنّ لغات القبائل العربيّة من أهمّ مصادر اللّغة.

٣- كثرة لغات القبائل العربيّة التي وردت في (الجامع لأحكام القرآن).

٤- ما يتمتّع به العلاّمة القرطبيّ من علم غزير في علوم اللّغة، وتظهر شخصيّته العلميّة -بوضوح تامّ- في تفسيره.

٥- حاجة المتخصّص لمعرفة ما يتعلّق بلغات القبائل العربيّة من نواح مختلفة.

٦- أنّ هذا الموضوع الذي اخترته لم يتناول من قبل بالبحث، أو الدّراسة-على حدّ ما وصل إليه علمي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدّراسات السّابقة:

لم أقف- حتّى الآن- على رسالة علميّة أفردت لدراسة لغات القبائل العربيّة في كتاب: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ)، ولكن هناك رسائل ودراسات درست القرطبيّ، وتفسيره من جوانب أخرى، وفيما يلي بيان لما وقفت عليه من هذه الدّراسات:

١- الفروق اللّغويّة في كتاب (الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ)، لعبد الله أحمد محمّد باز، دار الزّهراء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عام: ٢٠٠١م.

٢- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبيّ، لعبد القادر بن محمّد بن محمود الطّفيل، إشراف: د. إبراهيم عبد الله رفيدة، كليّة الدّعوة- بطرابلس- ليبيا، عام: ١٩٧٧م.

٣- الشّعر الجاهليّ في تفسير القرآن الكريم "دراسة توثيقيّة معجميّة دلاليّة" في شواهد ابن عبّاس، وتفسيري الكشّاف والقرطبيّ، رسالة دكتوراه، للدّكتور عمر علوي عبد الرّحمن بن شهاب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خطّة البحث

تتكوّن خطّة البحث من مقدّمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس تفصيليّة على النّحو التّالي:

المقدّمة: وفيها بيان أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، والدّراسات السّابقة، وخطّة البحث، ومنهجي فيه.

التّمهيد: القرطبيّ وتفسيره، ولغات القبائل العربيّة، وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: القرطبيّ وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن) وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: القرطبيّ، حياته، وآثاره بإيجاز.

المطلب الثّاني: الجامع لأحكام القرآن، وقيمته العلميّة من خلال الدّراسات التي تناولته.

المبحث الثّاني: لغات القبائل العربيّة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: مفهوم اللّغة واللّهجة، والعلاقة بينهما عند القدماء والمحدثين.

المطلب الثّاني: المؤلّفات في لغات القبائل العربيّة.

المطلب الثّالث: تعريف موجز بالقبائل العربيّة ومواطنها التي ذكرت لغاتها معزوّة في (الجامع لأحكام القرآن).

المطلب الرّابع: لغة القرآن الكريم، وآراء العلماء في ورود ألفاظ غير عربيّة فيه، ورأي القرطبيّ في ذلك.

المطلب الخامس: أهميّة دراسة لغات القبائل العربيّة وطرقها قديماً وحديثاً، ومصادرها.

الفصل الأوّل: اختلاف اللّغات في المستوى الصّوتي، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأوّل: الإبدال، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: إحلال صوت صحيح محلّ آخر صحيح.

المطلب الثّاني: إحلال صوت معتلّ محلّ آخر معتلّ.

المطلب الثّالث: إحلال صوت معتلّ محلّ آخر صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثّاني: الهمزة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: تحقيق الهمزة، وتخفيفها.

المطلب الثّاني: حذف الهمزة.

المطلب الثّالث: إحلال الهمزة محلّ صوت آخر.

المبحث الثّالث: الوقف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: الوقف على ضمير المتكلّم (أنا).

المطلب الثّاني: الوقف على ما آخره (ياء) بالحذف أو الإبقاء.

المطلب الثّالث: الوقف على (الهاء).

المبحث الرّابع: تغيير حركة بعض الحروف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: كسر حروف المضارعة.

المطلب الثّاني: فتح (لام الأمر)، و(لام كي).

المطلب الثّالث: كسر أوّل الكلمة.

المطلب الرّابع: حركة فاء المبنيّ للمجهول (قال).

المبحث الخامس: الصّوائت بين الحذف والإشباع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: إشباع ضمير الغيبة (الهاء).

المطلب الثّاني: إشباع كسرة الكاف في (مَلِكِ).

المطلب الثّالث: إسكان (شين عشرة).

المطلب الرّابع:حذف الصّائت في بعض الصّيغ.

المبحث السّادس: التّوافق الحركي، وفيه مطلب واحد:

إتباع حركات الحروف في بعض الصّيغ.

المبحث السّابع: الإدغام والإسناد، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: إدغام المتجانسين.

المطلب الثّاني: إسناد المضعّف إلى الضّمائر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثّاني: اختلاف اللّغات في المستوى الصّرفي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: الصّيغ الاسميّة، والفعليّة، والمشتقّات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: صيغ الاسم الثّلاثي.

المطلب الثّاني: صيغ الفعل الثّلاثي المجرّد.

المطلب الثّالث: أبواب الثّلاثي.

المطلب الرّابع: (فَعَلَ) و(أَفْعَلَ).

المطلب الخامس: صيغ أسماء الفاعلين، والمبالغة.

المبحث الثّاني: القلب المكاني.

المبحث الثّالث: التّذكير والتّأنيث.

المبحث الرّابع: ظواهر أخرى في بنية الكلمة.

الفصل الثّالث: اختلاف اللغات في المستوى النّحوي، وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحث الأوّل: نواسخ الجملة الاسميّة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: (ما) بين الإعمال والإهمال.

المطلب الثّاني: زيادة (الباء) في خبر (ما).

المطلب الثّالث: تردّد (ما) بين النّفي والموصوليّة.

المبحث الثّاني: إلحاق الضّمائر ببعض الأفعال وما شابهها، وتجرّدها، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: إلحاق علامة التّثنية والجمع بالفعل.

المطلب الثّاني: (هلمّ) ولغات العرب فيه.

المبحث الثّالث: الاستثناء، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: الاستثناء المنقطع.

المطلب الثّاني: نصب (غير) إذا جاءت بمعنى (إلاّ).

المطلب الثّالث: مجيء (لما) بمعنى (إلاّ).

المبحث الرّابع: الإعراب بالحركات (صرف الممنوع من الصّرف)، وفيه أربعة مطالب:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأوّل: (زَكَرِيَّاء) ولغات العرب فيه.
المطلب الثّاني: (فُرَادَى) بين الصّرف والمنع.
المطلب الثّالث: (حُنَيْن) بين الصّرف والمنع.
المطلب الرّابع: (قَوَارِير) بين الصّرف والمنع.
المبحث الخامس: الإعراب بالحروف، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأوّل: إعراب المثنّى.
المطلب الثّاني: إعراب الاسم الموصول (الذين).
المطلب الثّالث: لغات العرب في تشديد نون الإشارة، والاسم الموصول.
المبحث السّادس: (اللاّتي) ولغات العرب فيه.
المبحث السّابع: (هؤلاء) ولغات العرب فيه.
المبحث الثّامن: (رُبّ) ولغات العرب فيه.
المبحث التّاسع: ما يتردّد بين الإعراب والبناء، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأوّل: (حَيْثُ) ولغات العرب فيه.
المطلب الثّاني: (لَدُنْ) ولغات العرب فيه.
المطلب الثّالث: (اللاَّت) ولغات العرب فيه.
المبحث العاشر: تردّد (ما) بين المصدريّة، والموصوليّة.
المبحث الحادي عشر: التّعدّي واللّزوم.
المبحث الثّاني عشر: (واو) الثّمانية.
الفصل الرّابع: اختلاف اللّغات في المستوى الدّلالي، وفيه مبحثان:
المبحث الأوّل: المشترك اللّفظي، والمتضادّ.
المبحث الثّاني: المترادف.
الفصل الخامس: منهج القرطبيّ في إيراد اللّغات، وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأوّل: موقفه من القراءات، والشّواهد اللّغويّة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثّاني: منهجه في السّماع، والقياس.

المبحث الثّالث: مصادره.

الخاتمة: ويرد فيها- إن شاء الله- أهمّ النّتائج التي توصّل إليها الباحث.

الفهارس التّفصيليّة، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنيّة.

٢- فهرس الأحاديث النّبويّة.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأقوال والمثل.

٥- فهرس الأشعار.

٦- فهرس الأعلام.

٧- فهرس الأماكن والبلدان.

٨- فهرس القبائل والجماعات.

٩- فهرس المصادر والمراجع.

١٠- فهرس الموضوعات.

١١- فهرس الفهارس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منهج البحث والدّراسة:

سأعتمد في هذا البحث- إن شاء الله تعالى- على المنهج الوصفيّ التّحليليّ، وفق الخطوات التّالية:

١- جمع المادّة العلميّة من (الجامع لأحكام القرآن)، وتصنيفها في مواضعها حسب خطّة البحث.

٢- ذكر الآيات التي وردت فيها لغات القبائل العربيّة التي عزاها الإمام القرطبيّ.

٣- الاقتصار على اللّغات التي عزاها الإمام القرطبيّ إلى أصحابها، مع ذكر نماذج مشابهة في البحث إن دعت الحاجة إلى ذلك.

٤- دراستها دراسة لغويّة وفق مستوياتها الأربعة: (الصّوتي، والصّرفي، والنّحوي، والدّلالي).

٥- الاستعانة بكتب التّفاسير؛ لتوضيح هذه الظّواهر اللّغويّة.

٦- عرض كلّ قضيّة- وفق خطّة البحث- عرضاً موجزاً، أفصح معها عن أصحابها من القبائل العربيّة التي صرّح بهم الإمام القرطبيّ.

٧- مناقشة هذه اللّغات مناقشة علميّة، وذلك بالرّجوع إلى المصادر اللّغويّة المعتمدة.

٨- ذكر ما ورد في تلك اللّغات من آراءٍ لأئمّة اللّغة، مع توثيق كلّ ذلك من مصادره، أو مظانّه.

٩- عزو الآيات القرآنيّة إلى سورها، مع بيان رقمها، وكتابتها بالرّسم العثمانيّ.

١٠- توثيق القراءات القرآنيّة من كتب القراءات.

١١- عزو الأحاديث النبويّة، فإن كان الحديث في الصّحيحين، أو في أحدهما فإنّني أكتفي بعزوه إليهما، وإن لم يكن فيهما، أو في أحدهما فإنّني أعزوه إلى كتب الحديث المعتمدة.

١٢- توثيق أقوال العرب، والأمثال العربيّة من الكتب المعتمدة.

١٣- نسبة الأبيات الشعريّة إلى أصحابها ما أمكنني ذلك، وتوثيقها من مصادرها، أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مظانّها.

١٤- شرح الكلمات الغريبة، والتّعريف بالمصطلحات العلميّة، والأماكن، والبلدان تعريفاً موجزاً من الكتب المعتمدة.

١٥- التّرجمة للأعلام المغمورين ترجمة موجزة.

١٦- الالتزام بعلامات التّرقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٧- وضع فهارس عامّة في آخر الكتاب وفق ما ذكر في خطّة البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

التّمهيد: القرطبيّ وتفسيره، ولغات القبائل العربيّة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: القرطبيّ وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن)

المبحث الثّاني: لغات القبائل العربيّة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الأوّل: القرطبيّ وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: القرطبيّ، حياته، وآثاره.

المطلب الثاني: الجامع لأحكام القرآن وقيمته العلميّة من خلال الدّراسات التي تناولته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأوّل: القرطبيّ، حياته، وآثاره

أوّلاً: حياته:

اسمه، وكنيته، ولقبه:

هو أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح- بإسكان الرّاء- شمس الدّين، الأنصاريّ، الخزرجيّ، المالكيّ، الأندلسيّ، القرطبيّ[(١)].

ولادته ونشأته:

وُلِدَ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- بقرطبة؛ إحدى مدن الأندلس الكبرى، ورافد مهمّ من روافد الثّقافة الإسلاميّة، والعلوم الشرعيّة، والعربيّة.

هذا؛ ولم تذكر المصادر والمراجع- التي تناولت جانب حياته- تاريخ ولادته، إلّا أنّه قد رجّح بعض الباحثين والدّارسين أنّ ولادته كانت في أواخر القرن السّادس الهجريّ، أو مستهلّ القرن السّابع الهجري. يقول الدّكتور مفتاح السنوسيّ:

"وإن كنّا نعلم سنة وفاته، وهي: (٦٧١هـ) فإنّ كتب التّراجم والمصادر التي بين أيدينا سكتت عن تاريخ مولده، كما سكتت عن تاريخ رحلته المشرقيّة، ولم تنطق بشيء يدور حوله، ولا عن مرحلة طفولته وسني حياته الأولى. ولعلّ ذلك يرجع إلى مكانة أسرته الاجتماعيّة، من حيث المستوى الثقافيّ والسياسيّ والمعيشيّ؛ إذْ كان والده فلاّحاً لا هَمَّ له- بعد الإلمام بمبادئ الإسلام العامّة- إلّا حرث الأرض وزراعتها وتشجيرها، كما أخبر بذلك ابنه أبو عبد الله القرطبيّ، حينما بيّن كيفيّة وفاته وانتقاله إلى جوار ربّه[(٢)]. ولعلّ الظّروف الصّعبة الشاقّة التي ولد فيها القرطبيّ قد أسهمت في صرف النّاس عن الاهتمام برصد شيء يتعلّق بمولده وحياة طفولته وصباه. وعلى العموم فالذي نستطيع أن نؤكّده أنّ صاحبنا-

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ٨٧/٢، والدّيباج المذهب ص٣١٧، وطبقات المفسّرين ص٩٢، ونفح الطّيب ٢١٠/٢، وشذرات الذّهب ٥٨٤/٧، وإيضاح المكنون ٨١/٣، والأعلام ٣٢٢/٥، ومعجم المؤلّفين ٢٣٩/٨.

(٢) ينظر: تفسيره ٢٧٢/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرطبيّ- قد ولد في مستهلّ القرن السّابع الهجريّ، أو أواخر القرن السّادس الهجريّ على التّرجيح"[١].

وقد نشأ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في قرطبة في عصر الموحّدين في كنف أبيه ورعايته إلى أن قُتِل والده مع غيره من المسلمين على يد النّصارى بقرطبة، سنة: (٦٢٧هـ). يقول- رحمه الله- وهو يذكر الظّروف التي أحاطت بوفاة والده:

"العدوّ إذا صَبَّحَ قوماً في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم، فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك أو حكم سائر الموتى؟، وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة- أعادها الله-. أغار العدوّ- قصمه الله- صبيحة الثّالث من رمضان المعظّم، سنة: (سبع وعشرين وستّمائة) والنّاس في أجرانهم على غفلة، فَقَتَل وأَسَر، وكان من جملة من قُتِل والدي- رحمه الله-، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حجّة، فقال: غسّله وصلّ عليه، فإنّ أباك لم يقتل في المعترك بين الصفّين. ثمّ سألت شيخنا ربيع بن عبد الرّحمن بن أحمد بن ربيع بن أُبَيّ، فقال: إنّ حكمه حكم القتلى في المعترك. ثمّ سألت قاضي الجماعة أبا الحسن عليّ بن قطرال- وحوله جماعة من الفقهاء-، فقالوا: غسّله وكفّنه وصلّ عليه، ففعلت. ثمّ بعد ذلك وقفت على المسألة في"التبصرة" لأبي الحسن اللخميّ وغيرها. ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسّلته، وكنت دفنته بدمه في ثيابه"[٢].

يبدو في هذا النصّ أنّ والده لم يكن من ذوي الجاه والسلطان، ولا من ذوي العلم والمعرفة، ولم يتبوّأ مكانة اجتماعيّة مرموقة- كما مرّ-. ولعلّ هذا هو السّبب في عدم عناية المترجمين والمؤرّخين بذكر جوانب حياته؛ إذْ إنّ المصادر- التي وقفت عليها- لم تشر إلى حياة القرطبيّ الأسريّة وأثرها على نفسيّته وثقافته، ومدى استفادته من هذه الحياة التي يكون الوالدان أهمّ عامل من عوامل تأثير البيئة في الطّفل أو النّاشئ؛ فلم تشر تلك المصادر إلى حياة أبويه وإخوته وأقاربه وعلاقتهم جميعاً بالقرطبيّ، وأثرهم في تنشئته وثقافته. كما يفهم-

(١) ينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ومنهجه في التّفسير ص٨٥.

(٢) ينظر: تفسيره ٤/٢٧٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيضاً- أنّه كان يغلب على حاله وحال أسرته الفقر والبساطة. يقول- رحمه الله- عن نفسه عمّا كان يفعله أيّام شبابه: "ولقد كنت في زمن الشّباب أنا وغيري ننقل التّراب من مقبرة عندنا تسمّى: بمقبرة اليهود خارج قرطبة"(١).

وإلى جانب طلبه الرّزق في أيّامه الأولى، إلّا أنّه- رحمه الله- أقبل على طلب العلوم والمعارف منذ صغره؛ فحفظ القرآن الكريم، وتلقّى الدّروس من علماء قرطبة، وعكف على تحصيل العلم ومداومة النّظر في الكتب، حتّى أصبح من أشهر علماء قرطبة، ونسيجَ وحده في كلّ مسألة يعرضها، وذا دراية فائقة في مختلف العلوم التي يتناولها بالبيان؛ فكأنّه قد تخصّص فيها، وصرف وقته كلّه في دراسة قضاياها؛ نجد ذلك في الفقه وأصوله، واللّغة وغرائبها، والنّحو وأبوابها، وعلوم القرآن، والقراءات، والحديث وعلم الرّجال، والتّاريخ(٢).

وقد جمع- رحمه الله- هذه العلوم في تفسيره الذي يعدّ أشهر تصانيفه، وأجلّ التّفاسير، وأعظمها نفعاً، حيث يقول في مقدّمته:

"رأيتُ أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه منتي(٣) بأن أكتب تعليقاً وجيزاً، يتضّمن نكتاً من التّفسير، واللّغات، والإعراب، والقراءات، والردّ على أهل الزّيغ والضّلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات؛ جامعاً بين معانيهما، ومبيّناً ما أشكل منهما بأقاويل السّلف، ومن تبعهم من الخلف"(٤).

وبعد سقوط قرطبة، عام: (٦٣٣هـ) غادرها هارباً، يقول- رحمه الله-: "ولقد اتّفق لي ببلادنا الأندلس بِحِصْنِ مَنْثُور من أعمال قرطبة مثلُ هذا. وذلك أنّي هربتُ أمام العدوّ وانحزتُ إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعدٌ ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أوّل سورة (يس) وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليّ ثمّ

(١) ينظر كتابه: التّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٣٨.

(٢) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص٣٢.

(٣) المِنّة: القوّة. ينظر: جمهرة اللّغة ١/١٧٠، والزاهر في معاني كلمات النّاس لأبي بكر الأنباريّ ١/٤١٤.

(٤) ينظر: تفسيره ١/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر: هذا دَيْبَلَة، يعنون: شيطاناً. وأعمى الله- عزّ وجلّ- أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمداً كثيراً على ذلك"[١]. وتوجّه إلى إِشْبِيلِيَّة، ثمّ انتقل إلى الإسكندريّة، حيث نزل فيها فترة قبل أن يستقرّ في صعيد مصر[٢].

شيوخه وتلامذته:

لقد أخذ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- العلوم المختلفة عن عدد من المشايخ، ذكرهم من ترجم له. ولما كان تلقّيه للعلوم مرّ بمرحلتين؛ الأولى: في بلده الأندلس (قرطبة)، والثّانية: في مصر. ناسب أن يكون تقسيم شيوخه قسمين:

القسم الأوّل: شيوخه بالأندلس:

إنّ أبرز شيوخ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- بالأندلس هم الذين تحدّث عنهم في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وصرّح برجوعه إليهم في المشكلات والدّقائق العلميّة، وهم:

١- ابن حَوْط الله (٦١٢هـ).

هو: الحافظ أبو محمّد، عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرّحمن بن سليمان بن عمر بن حَوْط الله، الأنصاريّ، الحارثيّ، الأنديّ، محدّث الأندلس، حافظ، مقرئ، مُنْشِئ، خطيب، شاعر، نحويّ.

تصدّر للقراءات والعربيّة، وأدّب أولاد المنصور بمراكش ونال من جهتهم دنيا عريضة، ولي قضاء إشبيليّة وقرطبة، ولم يكن في زمانه أكثر سماعاً منه.

ولد بأنده، سنة: (٥٤٩هـ)، وتوفي بغرناطة متوليّاً قضاءها، سنة: (٦١٢هـ). صنّف كتاباً في: (ذكر شيوخ البخاريّ، ومسلم، وأبي داود، والنسائيّ، والترمذيّ)، وله رسائل، وخطب، ومشاركة في نظم الشّعر[٣].

---

(١) ينظر: تفسيره ١٠/٢٧٠.

(٢) ينظر: القرطبيّ ومنهجه في التّفسير ص٢٢.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيّات ١٧/١٠٦، وهديّة العارفين ١/٤٥٨، ومعجم المؤلّفين ٦/٦١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جاء في الدّيباج: أنّ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- ذكره في شيوخه، وحدّث عنه[١].

٢- أبو سليمان، ربيع الأشعريّ (٦٣٣هـ).

هو: أبو سليمان القاضي، ربيع بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الرّحمن بن ربيع الأشعريّ، من أهل قرطبة وقاضيها. ولد في ذي القعدة سنة: (٥٩٩هـ)، وقيل: (٥٦٩هـ). كان رجلاً صالحاً، نبيه القدر والبيت، عدلاً في أحكامه، بارعاً في اللّغة، عارفاً بالحديث، والأدب، أجاز له أبوه. خرج من قرطبة بعد سقوطها، فنزل إشبيليّة وتوفي بها، سنة: (٦٣٣هـ)[٢].

٣- أبو عامر، يحيى الأشعريّ (٦٣٩هـ).

هو: أبو عامر، يحيى بن عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الرّحمن بن ربيع الأشعريّ، متكلّم، فقيه، أصوليّ، محدّث، حافظ، مشارك في العلوم العقليّة، دقيق النّظر، سديد البحث، سهل المناظرة. سمع من أبيه أبي الحسين، وابن بشكوال؛ وأجاز له أبو بكر بن الجدّ، وأبو عبد الله بن زرقون. وقد كان- رحمه الله- علماً من أعلام الأندلس، ناصراً للسنّة، رادعاً لأهل الأهواء. ولي قضاء جماعة أهل السنّة بقرطبة، وخرج منها حين تغلّب عليها الرّوم، ثمّ تولّى قضاء غرناطة. ولد سنة: (٥٦٣هـ)، توفي بمَالَقَة مصروفاً لفالج أصابه وأقعده بداره، سنة: (٦٣٩هـ)، وقيل: (٦٤٠هـ)[٣].

٤- أبو جعفر، أحمد المعروف بابن أبي حُجَّة (٦٤٣هـ).

هو: أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد القيسيّ، القرطبيّ، الأندلسيّ، النحويّ، المالكي، المعروف بابن أبي حجَّة. ولد سنة: (٥٦٢هـ). كان من كبار الأساتيذ، مقرئاً متقدّماً، نحويّاً محقّقاً، محدّثاً، حافظاً، مشهورَ الفضل، من أهل الزّهد والورع والتّواضع. تصدّر لإقراء القرآن، وتعليم العربيّة، وتسميع الحديث بقرطبة؛ ثمّ خرج عند تغلّب العدوّ عليها إلى إشبيلية، وولي القضاء والخطابة بها.

---

(١) ينظر: الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص٦٩.

(٢) ينظر: التّكملة لكتاب الصّلة ١/٢٦٠، وبغية الوعاة ١/٥٦٦.

(٣) ينظر: التّكملة لكتاب الصّلة ٤/١٩٢، والدّيباج ص٣٥٣، ومعجم المؤلّفين ١٣/٢٠٥-٢٠٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول السيوطيّ في بغية الوعاة: "ركب البحر إلى سبتة، فأسره الرّوم هو وأهله في البحر، فامتحن بالتّعذيب، ثمّ حمل إلى منورقة- بالنّون - ففداه أهلها، فمكث ثلاثة أيّام ومات. وقيل: مات على ظهر البحر قبل الوصول بهم إلى منورقة وذلك سنة (٦٤٣هـ)"(١).

من مؤلّفاته: (تسديد اللّسان لذكر أنواع البيان)، و(تفهيم القلوب آيات علّام الغيوب)، و(مختصر التّبصرة في القراءات لمكيّ)، و(الجمع بين الصّحيحين البخاريّ ومسلم)(٢).

٥- أبو الحسن، عليّ المعروف بابن قُطْرَالّ (٦٥١هـ).

هو: القاضي أبو الحسن، عليّ بن عبد الله بن محمّد بن يوسف بن يوسف بن أحمد الأنصاريّ، الأندلسيّ، القرطبيّ، المعروف بابن قطرال. ولي قضاء شاطبة، ثمّ قرطبة، ثمّ فاس. ولد سنة (٥٦٣هـ) بقرطبة. كان من رجال الكمال علماً وعملاً، شارك في فنون كثيرة، وتميّز بالبلاغة والإدراك في الكتابة مع دماثة الخلق، ولين الجانب، والصّلاح والخير؛ أُخِذَت عنه بشاطبة جملةٌ من روايته. توفي بمراكش في شهر ربيع الأوّل سنة: (٦٥١هـ)، بعد ولاية قضاء أغمات(٣).

هؤلاء هم شيوخ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في الأندلس الذين صرّح في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) بالأخذ عنهم، والإفادة منهم؛ فقد سأل أبا جعفر أحمد المعروف بابن أبي حجّة، وربيع بن عبد الرّحمن، وأبا الحسن عليّ بن قُطْرَالّ عن غسل والده، والصّلاة عليه يوم قُتِل في غارة الأعداء على قرطبة. فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(٤):

"وكان من جملة من قُتِل والدي- رحمه الله-، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبي حجّة، فقال، غسّله وصلّ عليه، فإنّ أباك لم يقتل في المعترك بين

(١) ينظر: بغية الوعاة ٣٨٣/١.

(٢) ينظر: الذّيل والتّكملة ٤٩٥/٣، وكشف الظّنون ٥٩٩/١، والأعلام ص٢١٩، وهديّة العارفين ٩٤/١.

(٣) ينظر: التّكملة لكتاب الصّلة ٢٤١/٣، والوافي بالوفيّات ١٤١/٢١.

(٤) آل عمران: ١٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفّين. ثمّ سألت شيخنا ربيع بن عبد الرّحمن بن أحمد بن ربيع بن أُبَيّ، فقال: إنّ حكمه حكم القتلى في المعترك. ثمّ سألت قاضي الجماعة أبا الحسن عليّ بن قُطْرَالّ- وحوله جماعة من الفقهاء-، فقالوا: غسّله وكفّنه وصلّ عليه، ففعلت. ثمّ بعد ذلك وقفت على المسألة في"التبصرة" لأبي الحسن اللخميّ وغيرها، ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسّلته، وكنت دفنته بدمه في ثيابه"[(١)].

وقد أكثر- رحمه الله- من ذكر شيخه أبي جعفر، أحمد المعروف بابن أبي حجّة في تفسيره؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾[(٢)]: "سمعت شيخنا الأستاذ المقرئ، النحويّ، المحدّث أبا جعفر أحمد بن محمّد بن محمّد القيسيّ القرطبيّ المعروف بابن أبي حجّة- رحمه الله- يقول في تأويل قوله عليه السّلام: (لا يزال أهل الغَرْب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم السّاعة)[(٣)]: إنّهم العلماء، قال: وذلك أنّ (الغَرْب) لفظ مشترك يطلق على الدّلو الكبيرة، وعلى مغرب الشمس، ويطلق على فيضة من الدّمع"[(٤)].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[(٥)]: "سمعت شيخنا الأستاذ المقرئ أبا جعفر القرطبيّ، يقول: (فغوى) ففسد عيشه بنزوله إلى الدّنيا، والغيّ الفساد؛ وهو تأويل حسن، وهو أولى من تأويل من يقول: (فغوى) معناه: ضلّ، من الغيّ الذي هو ضدّ الرّشد"[(٦)].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(٧)]: "...وإليه كان يذهب شيخنا الأستاذ أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن محمّد القيسيّ القرطبيّ، المعروف

(١) ينظر: تفسيره ٤/٢٧٢.
(٢) التّوبة: ١٢٢.
(٣) صحيح مسلم ٣/١٥٢٥.
(٤) ينظر: تفسيره ٨/٢٩٧.
(٥) طه: ١٢١.
(٦) ينظر: تفسيره ١١/٢٥٧.
(٧) النّساء: ١٠٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بأبي حجُّة"[١].

وأمّا شيخه أبو عامر، يحي بن عبد الرّحمن الأشعريّ، فقد صرّح بالأخذ عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾[٢]، قال: "أخبرنا الشّيخ الفقيه، الإمام المحدّث، القاضي أبو عامر يحي بن عامر بن أحمد بن ربيع، الأشعريّ نسباً ومذهباً، بقرطبة- أعادها الله- في ربيع الآخر عام: (ثمانية وعشرين وستّمائة) قراءة منّي عليه قال: أخبرنا أبي إجازةً، قال... لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾، قال أبو الدّحداح: يا رسول الله أَوَ إنّ الله تعالى يريد منّا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدّحداح، قال: أرني يدك، قال: فناوله، قال: فإنّي أقرضت الله حائطاً فيه ستّمائة نخلة، ثمّ جاء يمشي حتّى أتى الحائط وأُمُّ الدّحداح فيه وعياله، فناداها: يا أمّ الدّحداح، قالت: لبّيك، قال: اخرجي، قد أقرضت ربّي- عزّ وجلّ- حائطاً فيه ستّمائة نخلة"[٣].

القسم الثّاني: شيوخه في مصر:

إنّ أبرز من أخذ عنهم الإمام القرطبيّ- رحمه الله- العلوم المختلفة في مرحلة حياته العلميّة الثّانية، وصرّح بالأخذ عنهم، هم:

١- أبو محمّد، عبد المعطي اللخميّ الإسكندرانيّ (٦٣٨هـ).

هو: أبو محمّد، عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن عبد الخالق بن أبي الثّناء، اللخميّ، الإسكندريّ، فقيه، مالكيّ، صوفيّ، ضرير. ولد وعاش بالإسكندريّة، سنة: (٥٦٣هـ)، وكان له فيها رباط مشهور به. من تصانيفه: (شرح الدّلالة على فوائد الرّسالة للقُشَيْرِيّ)، و(شرح منازل السّائرين للهرويّ)، و(شرح الرّعاية للمحاسبيّ). توفي بمكّة ودفن بالمعلى، سنة: (٦٣٨هـ) رحمه الله[٤].

---

(١) ينظر: تفسيره ٥/٣٧٠.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) ينظر: تفسيره ٣/٢٣٧-٢٣٨. وينظر: مسند البزّار ٥/٤٠٢.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير ٤٦/٣٧٠، والأعلام للزركليّ ٤/١٥٥، وإيضاح المكنون ٣/١٠٢، وهديّة العارفين ١/٦٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخذ عنه القرطبيّ- رحمه الله- وصرّح باسمه في (الجامع لأحكام القرآن) في مواطن مختلفة، منها: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(١)]: "وقد تأوّل كثير من النّاس فيما ذكر شيخنا أبو محمّد، عبد المعطي الإسكندرانيّ- ﷺ- أنّ الإمام المحَاسِبِيّ- رحمه الله- يرى أنّ التّوبة من أجناس المعاصي لا تصحّ، وأنّ النّدم على جملتها لا يكفي، بل لابدّ أن يتوب من كلّ فعل بجارحته، وكلّ عقد بقلبه على التّعيين. ظنّوا ذلك من قوله، وليس هذا مراده، ولا يقتضيه كلامه"[(٢)].

وقال- رحمه الله- عنه أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[(٣)]: "وسمعت شيخنا الإمام أبا محمّد، عبد المعطي بثغر الإسكندريّة، يقول: إنّ شيطاناً يقال له: البيضاويّ، يتمثّل للفقراء المواصلين في الصّيام، فإذا استحكم منهم الجوع وأضرّ بأدمغتهم يكشف لهم عن ضياء ونور حتّى يملأ عليهم البيوت، فيظنّون أنّهم قد وصلوا وأنّ ذلك من الله، وليس كما ظنّوا"[(٤)].

وحكى عنه أيضاً عند ذكر قصّة نبيّ الله موسى مع الخضر- عليهما السّلام-، قال: "وقد ذكر شيخنا الإمام أبو محمّد، عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخميّ في (شرح الرّسالة له للقُشَيْرِيّ) حكايات كثيرة عن جماعة من الصّالحين والصّالحات بأنّهم رأوا الخضر- عليه السّلام- ولقوه؛ يفيد مجموعها غلبة الظنّ بحياته"[(٥)].

---

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) ينظر: تفسيره ٤/٢١٤.

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) ينظر: تفسيره ١٠/٤٢٢.

(٥) ينظر: تفسيره ١١/٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- أبو محمّد، عبد الوهّاب بن رواج (٦٤٨هـ).

هو: أبو محمّد، عبد الوهّاب بن ظافر بن عليّ بن فتوح بن الحسين بن إبراهيم، المشهور بابن رواج- وهو لقب أبيه- الأزديّ، القرشيّ، الإسكندرانيّ، المالكيّ، المحدّث المسْنِد، رشيد الدّين. ولد سنة: (٥٥٤هـ). كان فقيهاً لبيباً، محدّثاً حافظاً، فاضلاً، صحيح السّماع؛ سمع الكثير من السِّلَفِيّ وغيره، وكتب بخطّه الكثير وخرّج لنفسه أربعين حديثاً؛ حدّث بالإسكندريّة، والقاهرة، وورى عنه خلق كثير، توفي سنة: (٦٤٨هـ)، وقيل: (٦٤٩هـ)[١].

أخذ عنه القرطبيّ- رحمه الله- السنّة المطهّرة، وكان حريصاً على حضور دروسه وحلقاته التي كانت تقام بمسجده بثغر الإسكندريّة[٢]. قال- وهو ينقل عنه في كتابه التّذكار في أفضل الأذكار-: "(الباب السّابع والعشرين فيما جاء فيمن تعلّم القرآن وعلّمه). أنبأنا ابن رواج إجازة عن الحافظ السِّلَفِيّ، قال...عن أبي هريرة- ﷺ-، قال: قال لي رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: "يا أبا هريرة، علّم النّاس القرآن وتعلّمه، فإنّك إن متّ وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق، وعلّم النّاس سنّتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصّراط طرفة عين حتّى تدخل الجنّة فلا تحدّث في دين الله حدثاً برأيك"[٣].

وقال في كتابه (التّذكار بأحوال الموتى وأمور الآخرة) في باب (ما يسأل عنه العبد، وكيفيّة السّؤال): "أخبرنا الشّيخ الرّاوية القرشيّ عبد الوهّاب قراءة عليه بثغر الإسكندريّة- حماه الله- قال: قرئ على الحافظ السِّلَفِيّ وأنا أسمع، قال...عن أبي ذرّ- ﷺ- قال: قال

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيّات المشاهير والأعلام ٣٩٧/٤٧، والوافي بالوفيّات ٢٠٢/١٩.

(٢) ينظر كتابه: التّذكار في أفضل الأذكار ص٦. وينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التّفسير ص١١٤.

(٣) ينظر كتابه: التّذكار في أفضل الأذكار ص١٠١-١٠٢. وقد ذكر الشّيخ الألبانيّ هذا الحديث في كتابه: (سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة). ينظر: ٤٣٠/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: "يؤتى بالرّجل يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه، وتخبأ كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، ثلاث مرّات. قال: وهو يقرّ ليس ينكر، قال: وهو مشفق من الكبار أن تجيء. قال: فإذا أراد الله به خيراً قال أعطوه مكان كلّ سيّئة حسنة، فيقول حين طمع: يا ربّ إنّ لي ذنوباً ما رأيتها ها هنا، قال: فلقد رأيت رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- ضحك حتّى بدت نواجذه، ثمّ تلى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾"[(١)].

٣- أبو الحسن، بهاء الدّين الجُمَّيْزيّ الشّافعيّ (٦٤٩هـ).

هو: أبو الحسن، بهاء الدّين عليّ بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن أحمد بن عليّ بن اللخميّ، المصريّ، المعروف بابن الجُمَّيْزيّ، الشّافعيّ، الإمام العلّامة، مسند الدّيار المصريّة؛ ولد سنة: (٥٥٩هـ). حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين أو أقلّ، ورحل به أبوه وسمع بدمشق، ورحل معه إلى بغداد وقرأ بالقراءات العشر على أبي الحسن عليّ بن عساكر، وسمع بالإسكندريّة من السِّلَفِيّ وتفرّد عنه بأشياء؛ وخطب مدّة بجامع القاهرة، وكان رئيس العلماء بالقاهرة في وقته، مُعَظَّماً عند الخاصّة والعامّة، ولا يعلم أحد سمع من السِّلَفِيّ، وابن عساكر، وشُهْدَة سواه إلّا الحافظ عبد القادر بن عبد الله. وقد روى عنه خلق من أهل دمشق، وأهل مكّة، وأهل مصر، وانتهت إليه رياسة العلم بالدّيار المصريّة، وانقطع بموته إسناد عال، توفي- رحمه الله- سنة: (٦٤٩هـ) وقد جاوز التّسعين[(٢)].

صرّح القرطبيّ- رحمه الله- بالأخذ عن ابن الجمّيزي، حيث ذكر اسمه مقروناً باسم شيخه ابن رواج، قال في كتابه التّذكار: "(الباب الخامس عشر في أنّ أفضل الخلق إيماناً مَنْ عمل بكتاب الله عزّ وجلّ). أنبأنا الشّيخ المسنّ الرّاوية الحاجّ أبو محمّد، عبد الوهّاب بن ظافر بن عليّ بن فتوح، عُرِف بابن رواج بمسجده بثغر الإسكندريّة،- حماه الله- والشّيخ

(١) الفرقان: ٧٠. وصحيح مسلم ١/١٧٧. وينظر كتابه: التّذكار في أفضل الأذكار ص٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ينظر: معرفة القرّاء الكبار ص٣٥٠، والوافي بالوفيّات ٢٢/١٧٥-١٧٦، وطبقات الشافعيّة الكبرى ٨/٣٠١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفقيه الإمام مفتي الأنام أبو الحسن، عليّ بن هبة الله الشافعيّ، بمنية بني خُصَيب على ظهر النّيل بها إجازة، قالا جميعاً...أحدّثكم بحديث سمعتُه من رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- قال: فقلنا: هات رحمك الله؟ قال: كنّا مع رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- ومعاذ معنا عاشر عشرة، فقلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منّا أجراً؟ آمنّا بك واتّبعناك؟ قال: "ما يمنعكم من ذلك ورسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- بين أظهركم، يأتيكم الوحي من السّماء؛ بلى قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بَيْنَ لَوْحَيْن فيؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك أعظم أجراً منكم"(١).

٤- أبو العبّاس، أحمد القرطبيّ المعروف بابن المزَيّن (٦٥٦هـ).

هو: أبو العبّاس، ضياء الدّين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاريّ، المالكيّ، الفقيه، المحدّث، المدرّس؛ ولد بقرطبة سنة: (٥٧٨هـ)، وسمع الكثير هنالك، ثمّ انتقل إلى المشرق، فنزل الإسكندريّة واستوطنها ودرس بها؛ وكان من الأئمّة المشهورين والعلماء المعروفين، كان بارعاً في الفقه، والعربيّة، وعارفاً بالحديث. اشتهر هناك وطار صيته. أخذ النّاس عنه، وانتفعوا بكتبه. اختصر الصّحيحين، ومن تصانيفه- أيضاً-: (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) وهو من أجلّ الكتب؛ ويكفيه شرفاً اعتماد الإمام النوويّ- رحمه الله- عليه في كثير من المواضع. و(كشف القناع عن الوجد والسّماع)، توفي- رحمه الله- بالإسكندريّة سنة: (٦٥٦هـ)(٢).

أخذ عنه الإمام القرطبيّ- رحمه الله-، وصرّح باسمه في (الجامع لأحكام القرآن)، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣): "قال

(١) ينظر كتابه: التّذكار في أفضل الأذكار ص٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: الدّيباج المذهب ص٦٨، ونفح الطّيب ٢/٦١٥.

(٣) آل عمران: ٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيخنا أبو العبّاس- رحمة الله عليه-: متّبعو المتشابه لا يخلو أن يتّبعوه ويجمعوه طلباً للتّشكيك في القرآن وإضلال العوامّ، كما فعلته الزّنادقة والقرامطة الطّاعنون في القرآن، أو طلباً لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسّمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنّة ممّا ظاهره الجسميّة حتّى اعتقدوا أنّ البارئ تعالى جسم مجسّم، وصورة مصوّرة ذات وجه،، وعين، ويد، وجنب، ورجل، وأصبع؛ تعالى الله عن ذلك"[(١)].

وحكى قوله عند قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، قال: "والوقف على هذا يكون عند قوله: (والرّاسخون في العلم). قال شيخنا أبو العبّاس أحمد بن عمر: وهو الصّحيح؛ فإنّ تسميتهم راسخين يقتضي أنّهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب. وفي أيّ شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلّا ما يعلم الجميع"[(٢)].

ونقل قوله- أيضاً- عند قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(٣)]: "قال شيخنا الفقيه الإمام أبو العباس أحمد- ﷺ-: العجب من المخالفين في هذه المسألة، فإنّهم قالوا: إنّ القليل من الخمر المعتصر من العنب حرام ككثيره، وهو مجمع عليه، فإذا قيل لهم: فلم حرّم القليل من الخمر وليس مُذْهِباً للعقل؟ فلا بدّ أن يقال: لأنّه داعية إلى الكثير، أو للتعبّد، فحينئذ يقال لهم: كلّ ما قدّرتموه في قليل الخمر هو بعينه موجود في قليل النّبيذ فيحرم أيضاً؛ إذْ لا فارق بينهما إلّا مجرّد الاسم إذا سلم ذلك"[(٤)].

وقال- أيضاً- عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[(٥)]: "قال شيخنا أبو العبّاس أحمد بن عمر: وقد أنكر هذا كثير من

(١) ينظر: تفسيره ٤/١٣-١٤.

(٢) ينظر: تفسيره ٤/١٣-١٤.

(٣) المائدة: ٩٣.

(٤) ينظر: تفسيره ٦/٢٩٥.

(٥) العنكبوت: ٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متفقّهة الأندلس وغيرهم، وشدّدوا النّكير فيه، ونسبوا قائله إلى الكفر، وذلك دليل على عدم العلوم النظريّة، وعدم التوقّف في تكفير المسلمين، ولم يتفطّنوا؛ لأنّ تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليه السّلام في الصّحيح"[(١)].

وقال- رحمه الله- أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[(٢)]: "قال شيخنا الإمام أبو العبّاس أحمد بن عمر القرطبيّ في كتاب (المُفْهِم) له: وإنّما كان عند هذا القائل الأقرب لقوله تعالى: (تُكَلِّمُهُمْ)، وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابّة آية خاصّة خارقة للعادة، ولا يكون من العشر الآيات المذكورة في الحديث؛ لأنّ وجود المناظرين والمحتجّين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصّة بها فلا ينبغي أن تذكر مع العشر، وترتفع خصوصيّة وجودها إذا وقع القول"[(٣)].

ونقل عنه في غير هذه المواطن التي مرّت بنا.

٥- أبو عليّ، الحسن بن عَمْرُوك البكريّ (٦٥٦هـ).

هو: أبو عليّ الحافظ صدر الدّين، الحسن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن عمروك بن محمّد، القرشيّ، التيميّ، البكريّ، النيسابوريّ، ثمّ الدمشقيّ، الصوفيّ؛ ولد بدمشق، سنة: (٥٧٤هـ). سمع بمكّة، وبدمشق، وبنيسابور، وأصبهان، وبغداد، وإربل، والموصل، وحلب، والقدس، والقاهرة من كبار العلماء هناك؛ وروى الكتب الكبار كـ(الأنواع لابن حبّان)، و(الصّحيح لأبي عوانة)، و(الصّحيح لمسلم)، و(خرّج الأربعين البلديّة)، وحمل عنه خلق كثير. ولي مشيخة الشّيوخ بدمشق والحسبة؛ ابتلي بالفالج آخر عمره فانتقل إلى مصر ومات بها، سنة: (٦٥٦هـ)، وعُدِم بعد موته رحمه الله[(٤)].

وهو ممّن أخذ عنهم القرطبيّ- رحمه الله- صرّح بذلك عند تفسيره لقوله تعالى:

---

(١) ينظر: تفسيره ١٣/٣٥٢-٣٥٣.

(٢) ينظر: تفسيره ٤/١٨.

(٣) ينظر: تفسيره ١٣/٢٣٦.

(٤) ينظر: سير أعلام النّبلاء ١٦/١٠٥، والوافي بالوفيّات ١٢/١٥٦، وشذرات الذّهب ٧/٤٧٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)]، قال: "قلتُ- أيْ القرطبيّ-: قرأتُ على الشّيخ الإمام المحدّث الحافظ أبي عليّ، الحسن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن عَمْرُوك البكريّ بالجزيرة قبالة المنصورة من الدّيار المصريّة، قال...عن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- غير مرّة ولا مرّتين، يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: "سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين"[(٢)].

هؤلاء هم شيوخ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- الذين أفاد منهم، واهتمّ بذكرهم؛ حيث تلقّى عنهم علومه، واستمدّ منهم ثقافته العلميّة، وتربّى على موائد فكرهم، وثقافتهم الإسلاميّة العظيمة التي كان لها دور كبير في تكوين حياته الفكريّة والعقليّة. وهذا الاهتمام يدلّ على أمانته العلميّة، ونسبة الفضل إلى أهله؛ إذْ إنّ كتب التّراجم والمصادر- التي وقفت عليها- سكتت عن إفادته رحمه الله من هؤلاء،كما سكتت عن حياته العلميّة في الأندلس ومصر. وقد ذكرت سبب ذلك عند ترجمته.

(١) الصّافّات: ١٨٠-١٨٢.

(٢) ينظر: تفسيره ١٤١/١٥. وينظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٢٩٧، وسنن الترمذيّ ٩٦/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تلامذته:

تكاد كتب التّراجم تُجْمِع على إغفال لتلامذة الإمام القرطبيّ- رحمه الله- ولعلّ السّبب في ذلك يرجع إلى اعتزاله في آخر حياته مجالس النّاس، واعتكافه على كتابة مؤلّفاته العظيمة. على أنّ بعضهم قد أشار إلى ذكر عدد يسير منهم مع وفور علمه وجلالة قدره، وهم:

١- ابنه، شهاب الدّين أحمد القرطبيّ.

هو: شهاب الدّين، أحمد بن محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. كان عالماً مشاركاً في الفنون، أجازه والده، قال السيوطيّ في كتابه (طبقات المفسّرين) عند ترجمته للإمام القرطبيّ: "وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدّين أحمد"(١).

٢- أبو جعفر، أحمد بن الزّبير الغرناطيّ (٧٠٨هـ).

هو: أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمّد بن إبراهيم، الثقفيّ، الغرناطيّ، الحافظ، النحويّ، مؤرّخ؛ ولد في جيان سنة: (٦٢٧هـ). تلا بالسّبع، وتصدّر للإقراء وإسماع الحديث، وتعليم العربيّة، وتدريس الفقه. سمع منه خلق كثير؛ وانتهت إليه الرّياسة بالأندلس في العربيّة، ورواية الحديث، والتّفسير، والأصول. من تصانيفة: (صلة الصّلة)، و(ملاك التّأويل في المتشابه اللّفظ في التّنزيل)، و(البرهان في ترتيب سور القرآن)، و(الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسيّ من الأعلام)، و(معجم) جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم. قال ابن حجر: كانت له مع ملوك عصره وقائع، وكانت بينه وبين أميري مالقة وغرناطة صداقة، وكان معظّما عند الخاصّة والعامّة. توفي- رحمه الله- بغرناطة، سنة: (٧٠٨هـ)(٢).

أخذ عن القرطبيّ- رحمه الله- حيث ذُكِر له سند في إجازته عن الإمام القرطبيّ، جاء في فهرسة عليّ بن خليفة: "وأجازني- أيضاً- تذكرة القرطبيّ بالسّند إلى مؤلّفها. قال: بحقّ

---

(١) ينظر: طبقات المفسّرين ص٩٢.

(٢) ينظر: الدّرر الكامنة ٩٦/١، وشذرات الذّهب ٣١/٨، والأعلام للزركليّ ص٨٦-٨٧، وإيضاح المكنون ٥/٤، وهديّة العارفين ١٠٣/١، ومعجم المؤلّفين ١٣٨/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخذي لذلك عن شيخنا البشبيشيّ، عن أبي عبد الله محمّد البابليّ، عن يوسف الزرقانيّ، عن الشّمس الرمليّ، عن القاضي زكريّا، عن القاضي أبي محمّد عبد الرّحيم بن الفرات، عن القاضي ابن جماعة، عن أبي جعفر بن الزّبير، عن مؤلّفها أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح- بسكون الرّاء وبالحاء المهملة القرطبيّ"[(١)].

٣- إسماعيل الخراستانيّ (٧٠٩هـ).

هو: إسماعيل بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الصّمد الخراستانيّ. ولد في رجب سنة: (٦٣٩هـ). كان يخدم في الدّواوين مع جودة، وحسن خلق؛ توفي في المحرم سنة: (٧٠٩هـ). سمع من العلماء الأجلّاء، منهم القرطبيّ- رحمه الله- نصّ على ذلك ابن حجر في الدّرر الكامنة[(٢)].

٤- قطب الدّين، محمّد بن أحمد القسطلانيّ (٦٨٦هـ).

هو: الشّيخ قطب الدّين القسطلانيّ، محمّد بن أحمد بن عليّ بن محمّد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون، التوزريّ، المصريّ ثمّ المكيّ؛ ولد بمصر سنة: (٦١٤هـ)، ونشأ بمكّة وسمع بها جامع الترمذيّ من أبي الحسن بن البنّاء، وتفقّه في مذهب الإمام الشّافعي، وأفتى. ثمّ رحل سنة: (٦٤٩هـ)، فسمع ببغداد، ومصر، والشّام، والجزيرة، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، والهيبة والورع؛ فقد كان شيخاً عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً، جامعاً للفضائل، كريم النّفس، كثير الإيثار، حسن الأخلاق، قليل المثل، مأوى الفقراء، والواردين عليه يبرّهم ويعين كثيراً منهم. طلب من مكّة إلى القاهرة وأجيز له، وأجاز أولاده السّبعة؛ وكان ممّن أخذ عنهم القرطبيّ- رحمه-. ولي مشيخة الكامليّة بالقاهرة إلى أن توفي سنة: (٦٨٦هـ)، رحمه الله[(٣)].

---

(١) ينظر: فهرسة عليّ بن خليفة المساكنيّ ص٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: الدّرر الكامنة ١/٤٥١.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيّات ٢/٩٤، والنّجوم الزّاهرة ٧/٣٧٣، وشذرات الذّهب ٧/٦٩٤، والإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص٩٣-٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- ضياء الدّين، أحمد المعروف بالسطريجيّ.

هو: ضياء الدّين، أحمد بن أبي السّعود بن أبي المعالي البغداديّ، المعروف بالسّطريجيّ. ناوله القرطبيّ- رحمه الله-كتابه: (التّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)، وكتب إليه بخطّه ما نصّه: "ناولتُ جميع هذا الكتاب ضياء الدّين، أحمد بن أبي السّعود بن أبي المعالي البغداديّ، المعروف بالسّطريجيّ، وأذنتُ له أن يناوله من شاء. قاله مصنّفه محمّد بن أحمد بتاريخ الثّامن والعشرين من شهر شعبان، سنة: (ستّ وخمسين وستّ مئة)؛ حامداً لله تعالى، ومصليّاً على نبيّه محمّد المصطفى"(١).

هؤلاء هم تلامذة الإمام القرطبيّ- رحمهم الله- ولم أقف على غيرهم في الكتب والمصادر التي رجعت إليها وترجمت له.

(١) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آثاره العلميّة:

ألّف الإمام القرطبيّ- رحمه الله- كتباً كثيرة في علوم مختلفة، ذكر بعضها في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وبعضها في كتابيه: (التّذكار في أفضل الأذكار)، و(التّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة). وقد وصل إلينا بعض ما ذكر، وضاع البعض الآخر في لجج الفتن والقلاقل التي حلّت بالمسلمين في تاريخهم الطّويل؛ كما حدث في غزو التّتار، وغزو الصليبيّين، وفي حملة الإبادة التي قام بها المسيحيّون في الأندلس. ولو وصلت إلينا تلك الآثار العلميّة المفقودة لألقت أضواء ساطعة على سيرة هذا العالم الفذّ، ولأنارت كثيراً من جوانب حياته وثقافته. ومع هذا فإنّ من نظر في تآليف الإمام القرطبيّ- رحمه الله- يجد أنّها تستوفي التّحقيق العلميّ النّاصع، ويرى المتمعّن فيها أنّ صاحبها ذو ذوق مرهف، وحسّ علميّ نقيّ، ودقّة نادرة في الفهم، وقوّة بالغة في الحفظ، وقدرة عجيبة على التّأليف بأنصع أسلوب.

وممّا يلحظه القارئ لكتب الإمام القرطبيّ- رحمه الله- أنّه لا يرى فيها أثراً للاستعلاء والانتفاخ في العلم، بل يلمس فيها التّواضع الجمّ المصحوب بالعلم والأدب الشرعيّ الحنيف، كما أنّه لا يجده يقول معاداً مكرّراً في مصنّفاته جميعاً؛ ولهذا كثرت الإحالة على كتبه؛ وهذه ظاهرة عامّة يلمسها كلّ من كان قريباً من مصنّفاته.

ويلحظ أيضاً أنّ مؤلّفات الإمام القرطبيّ- رحمه الله- قد امتازت بتدوين كثير من الأحداث التاريخيّة المصحوبة بنظراته الشخصيّة. وقد أومأ في غضون تفسيره لبعض الآيات إلى بعض الأحداث التاريخيّة، والقضايا الاجتماعيّة التي تقدّم لنا طرفاً من معالم العصر الذي عاش فيه؛ وقد سبقت الإشارة في ترجمته إلى شيء من هذا.

وسأذكر فيما يلي مصنّفات الإمام القرطبيّ- رحمه الله- بعد تقسيمها إلى قسمين، وهما:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الأوّل: مؤلّفاته المطبوعة:

١- (الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان)، وهذا مجال البحث.

ذكره الإمام القرطبيّ- رحمه الله- هكذا في مقدّمته، قال: "...فإن لم تتضمّن حكماً ذكرت ما فيها من التّفسير والتّأويل، هكذا إلى آخر الكتاب. وسمّيته بـ(الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان) جعله الله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالديّ ومن أراده بمنّه، إنّه سميع الدّعاء، قريب مجيب، آمين"(١).

يعتبر هذا التّفسير من أهمّ آثاره العلميّة، وله قيمة عالية بين كتب التّفسير؛ فهو جامع وشامل للتّفسير بالمأثور، وكذلك يحوي على الأحكام الفقهيّة، والتّفسير بالرّأي. وقد بذل فيه جهداً كبيراً في البحث، والتّحليل، والاستنباط، والفهم، ثمّ ترجيح ما يراه صواباً، قال في مقدّمته: "وبعد؛ فلمّا كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشّرع، الذي استقلّ بالسنّة والفرض، ونزل به أمين السّماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنَّتي(٢) بأن أكتب تعليقاً وجيزاً، يتضمّن نكتاً من التّفسير، واللّغات، والإعراب، والقراءات، والردّ على أهل الزّيغ والضّلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما، ومبيّنا ما أشكل منهما، بأقاويل السّلف، ومن تبعهم من الخلف. وعملتُه تذكرةً لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي، وعملاً صالحاً بعد موتي. قال الله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٤)، وقال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)(٥).

(١) ينظر: تفسيره ١/٣.

(٢) المِنّة: القوّة. ينظر: جمهرة اللّغة ١/١٧٠، والزاهر في معاني كلمات النّاس لأبي بكر الأنباريّ ١/٤١٤.

(٣) القيامة: ١٣.

(٤) الانفطار: ٥.

(٥) صحيح مسلم: ٣/١٢٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنّفيها؛ فإنّه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتّفسير مبهماً، لا يَعْرِف من أخرجه إلّا من اطّلع على كتب الحديث؛ فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً، لا يعرف الصّحيح من السّقيم؛ ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتّى يضيفه إلى من خرّجه من الأئمّة الأعلام، والثّقات المشاهير من علماء الإسلام.

ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفّق للصوّاب. وأضرب عن كثير من قصص المفسّرين، وأخبار المؤرّخين، إلّا مالا بدّ منه ولا غنى عنه للتّبيين، واعْتَضْتُ من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تفسير عن معناها، وترشد الطّالب إلى مقتضاها، فضمّنت كلّ آية لتضمّن حكماً أو حكمين فما زاد، مسائلَ نبيّن فيها ما تحتوي عليه من أسباب النّزول، والتّفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمّن حكماً ذكرت ما فيها من التّفسير والتّأويل، هكذا إلى آخر الكتاب. وسمّيته بـ(الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان) جعله الله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به ووالديّ ومن أراده بمنّه، إنّه سميع الدّعاء، قريب مجيب، آمين"[(١)].

ثناء العلماء على هذا الكتاب:

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى بعد ذكر تفسير الزمخشريّ: "وتفسير القرطبيّ خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنّة، وأبعد عن البدع"[(٢)].

وقال الصفديّ في الوافي بالوفيّات: "وقد سارت بتفسيره الرّكبان، وهو تفسير عظيم في بابه"[(٣)].

وقال ابن فرحون في الدّيباج المذهب: "وهو من أجلّ التّفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط

(١) ينظر: تفسيره ١/٢-٣.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى ٥/٨٥.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيّات ٢/٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منه القصص والتّواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلّة، وذكر القراءات، والإعراب، والنّاسخ والمنسوخ"[١].

ويقول ابن خلدون في مقدّمته: "فلمّا رجع النّاس إلى التّحقيق والتّمحيص، وجاء أبو محمّد بن عطيّة- من المتأخرين بالمغرب- فلخّص تلك التّفاسير كلّها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصّحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس- حسن المنحى- وتبعه القرطبيّ في تلك الطّريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق"[٢].

ويقول السيوطيّ في طبقات المفسّرين عند ترجمته للقرطبيّ: "مصنّف التّفسير المشهور، الذي سارت به الرّكبان"[٣].

وقال ابن العماد الحنبليّ في شذرات الذّهب: "والتّفسير الجامع لأحكام القرآن، الحاكي مذاهب السّلف كلّها، وما أكثر فوائده"[٤].

وأمّا طبعات هذا الكتاب فعديدة، أوّلها: طبعة دار الكتب المصريّة في القاهر سنة: (١٩٣٣م)، ثمّ أعادت طبعه سنة: (١٩٦٤م)، ثمّ طبعته الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر سنة: (١٩٦١م)، ثمّ طبع في دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر سنة: (١٩٦٧م) في القاهرة. وصوّر أكثر من مرّة في أكثر من دار للنّشر والتّوزيع في بيروت، وطبع في دار إحياء التّراث العربيّ سنة: (١٣٧٢هـ)، ودار الحديث سنة: (١٤٢٣هـ)، ودار ابن حزم سنة: (١٤٢٥هـ)، وآخرها طبعة الرّسالة سنة: (١٤٢٧هـ) التي أشرف على تحقيقها الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ في أربعة وعشرين مجلّداً.

---

(١) ينظر: الدّيباج المذهب ص٣١٧.

(٢) ينظر: مقدّمة ابن خلدون ١/٤٤٠.

(٣) ينظر: طبقات المفسّرين ص٩٢.

(٤) ينظر: شذرات الذّهب ٧/٥٨٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.

ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في مقدّمة هذا الكتاب: اسمه، ومنهجه، وسبب تأليفه، ومصادره، فقال: "وبعد؛ فإنّي رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً يكون تذكرة لنفسي، وعملاً صالحاً بعد موتي في ذكر الموت وأحوال الموتى، وذكر الحشر، والنّشر، والجنّة، والنّار، والفتن، والأشراط. نقلته من كتب الأئمّة، وثقات أعلام هذه الأمّة حسب ما رويته ورأيته...وسمّيته: (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)، وبوّبته باباً باباً، وجعلت عقب كلّ باب فصلاً، أو فصولاً نذكر فيه ما يحتاج إليه من بيان غريب، أو فقه في حديث، أو إيضاح مشكل لتكمل فائدته، وتعظم منفعته؛ إذْ التفقّه في حديث رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- هو معنى المقصود، والرّأي المحمود، والعمل الموجود في المقام المحمود، واليوم المشهود"(١).

وقد أشار الإمام القرطبيّ- رحمه الله- إلى هذا الكتاب في (الجامع لأحكام القرآن) في مواطن كثيرة جدّاً، منها:

قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٢): "وقد أتينا على هذا المعنى مُبَيَّناً في كتاب: (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) والحمد لله. وقد ذكرنا هناك كم الشّهداء، وأنّهم مختلفو الحال. وأمّا من تأوّل في الشّهداء أنّهم أحياء، بمعنى أنّهم سيحيون فبعيد يردّه القرآن والسنّة، فإنّ قوله تعالى: (بل أحياء) دليل على حياتهم، وأنّهم يرزقون، ولا يرزق إلّا حيّ"(٣).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾(٤): "...وروي عن أبي ذرّ قال: اِنْتَطَحَتْ شاتان عند النبيّ- صلّى الله عليه

(١) ينظر: التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٣.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) ينظر: تفسيره ٤/٢٧٠.

(٤) الأنعام: ٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلّم- فقال: (يا أبا ذرّ هل تدري فيما اِنْتَطَحَتَا؟ قلتُ: لا. قال: لكنّ الله تعالى يدري وسيقضي بينهما)[١]. وهذا نصّ، وقد زدناه بياناً في كتاب (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة). والله أعلم"[٢].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[٣]، "وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض، وقد ذكرنا الأخبار بهذا كلّه في كتاب: (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)"[٤].

ويقول- أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾[٥]: "وعن ابن عمر: إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدّ الأديم، وحشر الدوابّ والبهائم والوحوش، ثمّ يوضع القصاص بين البهائم، حتّى يقتصّ للشّاة الجمّاء من الشّاة القرناء بنطحتها[٦]، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك قول الكافر: يا ليتني كنت تراباً...وقد ذكرناه في كتاب: (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) مجوّداً، والحمد لله[٧]".

ويقول- أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٨]: "وعلى هذا تضمّنت أحوال القيامة من بعث وحشر، وسؤال وعرض، إلى غير ذلك من أهوالها وأفزاعها، حسب ما ذكرناه في كتاب: (التّذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)"[٩].

---

(١) ينظر: الحجّة في بيان المحجّة ٣٣٦/٢.

(٢) ينظر: تفسيره ٤٢١/٦-٤٢٢.

(٣) الزّمر: ٤٢.

(٤) ينظر: تفسيره ٢٦٢/١٥.

(٥) النّبأ: ٤٠.

(٦) ينظر: مسند أحمد ١٣٧/١٢.

(٧) ينظر: تفسيره ١٨٩/١٩.

(٨) التّكاثر: ٥.

(٩) ينظر: تفسيره ١٧٣/٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهذا الكتاب عدّة طبعات منها: طبعة مكتبة دار المنهاج للنّشر والتّوزيع، الرّياض (١٤٢٥هـ) بتحقيق: الصّادق بن محمّد بن إبراهيم. وطبعة دار الحديث سنة: (١٤٢٤هـ) بتحقيق: عصام الدّين الصباطيّ. وطبع- أيضاً- بتحقيق: فوّاز أحمد زمرلي. وطبعة المكتبة الفيصليّة بمكّة المكرّمة بتحقيق: طه عبد الرّؤوف سعد. وطبعة مطابع مدكور وأولاده بالقاهرة بتحقيق: أحمد محمّد مرسي.

٣- التّذكار في أفضل الأذكار.

أورد الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في مقدّمة هذا الكتاب سبب تأليفه، ومنهجه، واسمه، فقال: "...فرأيت أن أكتب في ذلك كتاباً وجيزاً يحتوي على فضل القرآن، وقارئه، ومستمعه، والعامل به، وحرمته، وحرمة القرآن وكيفية تلاوته، والبكاء عنده، وفضل من قرأه معرباً، وذمّ من قرأه رياءً وعجباً، إلى غير ذلك ممّا يضمنه الكتاب، حسبما هو مبيّن في أبواب. وكان المقصد الأوّل تخريج أربعين حديثاً عن النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-... فاستخرت الله سبحانه في ذلك وسألته التّيسير عليّ في ذلك، فيسّر لي تخريج أربعين باباً في فضل كتابه العزيز، وقارئه، ومستمعه، والعامل به، وسمّيته: (كتاب التّذكار في أفضل الأذكار)، وهو سبحانه المسؤول أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه بمنّه وكرمه ولطفه، وأن ينفعني به ووالديّ ومن قرأه وسمعه. آمين"[(١)].

وقد أشار- رحمه الله- إلى اسم هذا الكتاب في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) عند قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٢)]، قال: "وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليل على أنّ التّرتيل أفضل من الهذّ[(٣)]؛ إذْ لا يصحّ التدبّر مع الهذّ؛ على ما بيّنّاه في كتاب: (التّذكار)"[(٤)].

---

(١) ينظر: التّذكار في أفضل الأذكار ص٥-٧.

(٢) ص: ٢٩.

(٣) الهذّ: سرعة القراءة.

(٤) ينظر: تفسيره ١٩٢/١٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد وضع الإمام القرطبيّ- رحمه الله- هذا الكتاب على طريقة (التّبيان في آداب حملة القرآن للإمام النوويّ)، قال ابن فرحون في الدّيباج: "وكتاب (التّذكار في أفضل الأذكار) وضعه على طريقة التّبيان للنوويّ؛ لكن هذا أتمّ منه، وأكثر علماً"(١).

ولهذا الكتاب عدّة طبعات، منها: طبعة في القاهرة بتحقيق: أحمد الغماريّ سنة: (١٣٥٥هـ). وطبعة دار البيان بتحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. وطبعة دار الكتاب العربيّ بتحقيق: فوّاز أحمد زمرلي عام: (١٤٢٣هـ).

٤- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- اسم هذا الكتاب، وتعريفه في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢)، قال: "جاء في كتاب الترمذيّ، وسنن ابن ماجه وغيرهما(٣): حديث عن أبي هريرة عن النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- نصّ فيه: (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً في أحدهما ما ليس في الآخر). وقد بيّنّا ذلك في الكتاب: (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى). قال ابن عطيّة- وذكر حديث الترمذيّ-: وذلك الحديث ليس بالمتواتر، وإن كان قد قال فيه أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث. وإنّما المتواتر منه قوله صلّى الله عليه وسلّم: (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلّا واحداً، من أحصاها دخل الجنّة). ومعنى (أحصاها) عدّها وحفظها)(٤).

وقيل غير هذا ممّا بيّنّاه في كتابنا. وذكرنا هناك تصحيح حديث الترمذيّ. وذكرنا من الأسماء ما اجتُمِعَ عليه وما اختُلِفَ فيه ممّا وقفنا عليه في كتب أئمّتنا ما ينيف على مائتي

(١) ينظر: الدّيباج المذهب ص٣١٧.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه ١٢٦٩/٢، وسنن الترمذيّ ٥٣٠/٥، و٥٣٢.

(٤) ينظر تفسير ابن عطيّة: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٨١/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسم. وذكرنا قبل تعيينها في مقدّمة الكتاب: اثنين وثلاثين فصلاً فيما يتعلّق بأحكامها. فمن أراده وقف عليه هناك، وفي غيره من الكتب الموضوعة في هذا الباب. والله الموفّق للصّواب، لا ربّ سواه"(١).

وقد جاء ذكر هذا الكتاب- أيضاً- في عدّة مواضع من تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، منها:

قوله- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾(٢): "هذا عامّ في كلّ شيء؛ فهو القابض الباسط، وقد أتينا عليهما في (شرح الأسماء الحسنى في الكتاب الأسنى)(٣).

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾(٤)، "أيْ: عالياً عليها ومرتفعاً. وهذا يدلّ على تأويل من يقول بالتّفضيل، أيْ: في كثرة الثّواب...وهو اختيار ابن الحصار في (كتاب شرح السنّة له). وقد ذكرنا ما ذكره في كتابنا في (شرح الأسماء الحسنى)، والحمد لله"(٥).

وقال- رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾(٦): "اسمان من أسمائه سبحانه. وقد بيّنّاهما في كتاب (الأسنى في شرح الأسماء الحسنى)"(٧).

وقال- أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾(٨): "و(الكبير) الذي كلّ شيء دونه. (المتعال) عمّا يقول المشركون، المستعلي

(١) ينظر: تفسيره ٣٢٥/٧.
(٢) البقرة: ٢٤٥.
(٣) ينظر: تفسيره ٢٤٣/٣.
(٤) المائدة: ٤٨.
(٥) ينظر: تفسيره ٢١٠/٦.
(٦) هود: ٩٠.
(٧) ينظر: تفسيره ٩٠/٩.
(٨) الرّعد: ٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على كلّ شيء بقدرته وقهره، وقد ذكرناهما في (شرح الأسماء) مستوفىً، والحمد لله"[١].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٢]: "يعني ذاته المقدّسة. وقد قام الدّليل العقليّ والشرعيّ على وحدانيّته... وذكرناه في اسمه: (الواحد) في (شرح الأسماء)، والحمد لله"[٣].

وهذا الكتاب مطبوع بدار الصّحابة للتّراث بطنطا بتحقيق: محمّد حسن جبل، وطارق أحمد محمّد.

٥- قمع الحرص بالزّهد والقناعة، وردّ ذلّ السّؤال بالكتب والشّفاعة.

هكذا ورد اسم الكتاب في (الجامع لأحكام القرآن)، قال الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[٤]: "روى الترمذيّ عن عبد الله، قال: قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: (سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ- يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ)[٥]. وخرّج- أيضاً- ابن ماجه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: (مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)[٦].

وهذا يدلّ على أنّ الأمر بالسّؤال لله تعالى واجب، وقد أخذ بعض العلماء هذا المعنى فنظّمه فقال:

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وقال أحمد بن المعَذّل أبو الفضل الفقيه المالكيّ فأحسن:

الْتَمِسِ الْأَرْزَاقَ عِنْدَ الَّذِي ... مَا دُونَهُ إِنْ سِيلَ مِنْ حَاجِبِ

---

(١) ينظر: تفسيره ٩/٢٨٩.

(٢) النّحل: ٥١.

(٣) ينظر: تفسيره ١٠/١١٣.

(٤) النّساء: ٣٢.

(٥) سنن الترمذيّ ٥/٥٦٥.

(٦) أخرجه الترمذيّ. ينظر: سننه ٥/٥٦٥. ولم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَـــنْ يُـــبْغِضُ التَّـــارِكَ تَسْـــآلَهُ جُـوداً وَمَـنْ يَرْضَـى عَـنِ الطَّالِـبِ
وَمَـــنْ إِذَا قَـــالَ جَـــرَى قَوْلُـــهُ بِغَـــيْرِ تَوْقِيـــعٍ إِلَى كَاتِـــبِ

وقد أشبعنا القول في هذا المعنى في كتاب: (قمع الحرص بالزّهد والقناعة)[١].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[٢]: "...والتوكّل: اعتماد القلب على الربّ في أن يلمّ شعثه ويجمع عليه أَرَبَه، ثمّ يتناول الأسباب بمجرّد الأمر؛ وهذا هو الحقّ. سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل، فقال: (إنّي أريد الحجّ على قدم التوكّل. فقال: اخرج وحدك، فقال: لا، إلّا مع النّاس. فقال له: أنت إذن متّكل على أَجْرِبَتِهِم). وقد أتينا على هذا في كتاب: (قمع الحرص بالزّهد والقناعة، وردّ ذلّ السّؤال بالكتب والشّفاعه)[٣].

وقال- أيضاً- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾[٤]: "...وروي أنّ قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً فأصابته جائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابيّة، فقالت: ما لي أراكم قد نكستم رءوسكم، وضاقت صدوركم، هو ربّنا والعالم بنا، رِزْقُنا عليه يأتينا به حيث شاء...وقد استوفينا هذا الباب في كتاب: (قمع الحرص بالزّهد والقناعة). والحمد لله"[٥].

وكذا ذكره من ترجم له، منهم: ابن فرحون في كتابه: (الدّيباج)، قال بعد ذكر اسم هذا الكتاب "لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه"[٦]. ومنهم: إسماعيل البغداديّ في كتابيه: (هديّة العارفين)، و(إيضاح المكنون) وورد في الأخير: (بالكفّ والشّفاعة) بدل

(١) ينظر: تفسيره ٥/١٦٤-١٦٥.
(٢) الفرقان: ٢٠.
(٣) ينظر: تفسيره ١٣/١٦.
(٤) الذّاريات: ٢٠.
(٥) ينظر: تفسيره ١٧/٤٣.
(٦) ينظر: الدّيباج المذهب ص٣١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(بالكتب والشّفاعة)[١].

وقد رتّب الإمام القرطبيّ- رحمه الله- هذا الكتاب على أربعين باباً في التّفسير والحديث؛ وهو كتاب يتضمّن أحكام الإسلام في دعوة أتباعه إلى العمل والكسب الحلال، والسّعي وراء لقمة العيش التي ليست غاية المسلم في هذه الحياة؛ وإنّما هي وسيلة توصله إلى غايته المثلى، المتمثّلة في العمل الدّؤوب، والسّعي المستمرّ لفهم أحكام الإسلام وتنفيذها في واقع الحياة العمليّة، وتبليغها للنّاس كافّة بشتّى الطّرق الشرعيّة حتّى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السّفلى، ويكون الإسلام حاكماً للواقع البشريّ كلّه لا محكوماً به...وكذلك يتضمّن محاربة الإسلام للكسالى الذين ارتضوا لأنفسهم ذلّة السّؤال والتطفّل على النّاس بشتّى الوسائل.

وقد طبعته دار الصّحابة للتّراث بطنطا، بتحقيق مجدي فتحي السيّد، الطّبعة الأولى عام: (١٩٨٩م).

٦- الإعلام بما في دين النّصارى من المفاسد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام.

هذا الكتاب ألّفه الإمام القرطبيّ- رحمه الله- لبيان فساد العقيدة المسيحيّة وإبطالها، وردّ الشّبهات عن الإسلام التي أثارها أحد النّصارى في كتابه: (تثليث الوحدانيّة).

وقد نسب إسماعيل البغداديّ هذا الكتاب للإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند ترجمته له[٢]. وهو مطبوع من دار التّراث العربيّ، عام: (١٩٨٠م) بتحقيق: أحمد حجازي السّقا.

---

(١) ينظر: هديّة العارفين ١٢٩/٢، وإيضاح المكنون ٢٤١/٤.

(٢) ينظر: هديّة العارفين ١٢٩/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثّاني: مؤلّفاته المخطوطة والمفقودة[١]:

هذا القسم يشمل كتب الإمام القرطبيّ- رحمه الله- التي لم تطبع ولا تزال مخطوطة، أو فُقِدَت ولم يُعْثَر عليها؛ وقد نسبها الإمام لنفسه وأشار إليها في بعض مؤلّفاته، مثل: تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، أو (التّذكرة)، ومن هذه المؤلّفات:

١- الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصّلاة والسّلام.

ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- هذا الكتاب في موطنين من تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]، "...وأمّا ما روي من طريق معاوية، قال: (سمعت رجلاً يقول للنبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-: يا ابن الذّبيحين، فضحك النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-. ثمّ قال معاوية: إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم، نذر لله إن سهّل عليه أمرها ليذبحنّ أحد ولده لله، فسهّل الله عليه أمرها، فوقع السّهم على عبد الله، فمنعه أخواله بنو مخزوم، وقالوا: افد ابنك، ففداه بمائة من الإبل وهو الذّبيح، وإسماعيل هو الذّبيح الثّاني) فلا حجّة فيه؛ لأنّ سنده لا يثبت على ما ذكرناه في كتاب (الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصّلاة والسّلام)"[٣].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٤]: "...وقد استدلّ بهذه الآية من قال: إنّ الذّبيح إسحاق لا إسماعيل، وهو الصّحيح على ما ذكرناه في كتاب (الإعلام بمولد النبيّ عليه السلام)"[٥].

وتوجد منه نسختان في (مكتبة كوبريلي بتركيا)، رقم: (٧٩٤)، (٨١٤)[٦].

---

(١) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٤٥.

(٢) الصّافّات: ١٠٧.

(٣) ينظر: تفسيره ١٥/١١٣.

(٤) ص: ٤٥.

(٥) ينظر: تفسيره ١٥/٢١٧.

(٦) ينظر: القرطبيّ المفسّر ليوسف عبد الرّحمن ص٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشّام وأهل الحجاز.

عالج القرطبيّ- رحمه الله- في هذا الكتاب موضوعات قرآنيّة متعلّقة بعلم القراءات. وقد أورد ذكره في كتابه: (التّذكار في أفضل الأذكار) عند حديثه عن ترك البسملة في سورة (براءة)، قال: "وللعلماء من ترك البسملة في سورة (براءة) خمسة أقوال، ذكرناها في كتاب: (جامع أحكام القرآن، والمبّين لما تضمّن من السنّة وآي الفرقان)، وذكرناها- أيضاً- في كتاب: (الانتهاز في قراء أهل الكوفة والبصرة والشّام وأهل الحجاز)"(١).

٣- منهج العبّاد ومحجّة السّالكين والزهّاد.

ذكر القرطبيّ- رحمه الله- هذا الكتاب في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(٢): قال: "...قلتُ: وقد ردّ هذا الكلام صاحب (القوت) واستدلّ بقصّة أيّوب في تفضيل الفقير على الغنيّ، وذكر كلاماً كثيراً شيّد به كلامه، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب: (منهج العبّاد ومحجّة السّالكين والزهّاد). وخفي عليه أنّ أيّوب- عليه السّلام- كان أحد الأغنياء من الأنبياء قبل البلاء وبعده، وإنّما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظيم الدّاء في جسده"(٣).

٤- المصباح في الجمع بين الأفعال والصّحاح.

وهو دراسة تدور حول كتابي: (أبنية الأفعال) لأبي القاسم عليّ بن جعفر القطّاع، المتوفّى سنة: (٥١٥هـ). وكتاب: (تاج اللّغة وصحاح العربيّة) لأبي نصر الجوهريّ، المتوفّى سنة: (٣٩٨هـ).

ولهذا الكتاب نسخ كثيرة في مكتبات العالم، منها: بريل في هولندا تحت رقم: (٢٨٣). وجارولا في استانبول تحت رقم: (٢٦٥)(٤).

---

(١) ينظر: التّذكار ص٢٩. وينظر هذه الأقوال الخمسة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): ٨/٦١-٦٣.

(٢) ص: ٤٤.

(٣) ينظر: تفسيره ١٥/٢١٦.

(٤) ينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ص١٤٩، والإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٥٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- اللّمع اللؤلؤيّة في شرح العشرينات النبويّة.

أورد القرطبيّ- رحمه الله- اسم هذا الكتاب في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) في موضعين، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[(١)]: "...وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة- ﷺ- قال: قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: (إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ)[(٢)]. قيل: إنّه الحجر الأسود، والله أعلم. والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وقد أتينا على جملة منها في: (اللّمع اللؤلؤيّة في شرح العِشْرينيّات النبويّة، للفاداريّ رحمه الله)[(٣)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾[(٤)]: "...وكتب على عنوانه: إلى محمّد بن عبد الله نبيّ الله ورسوله، خاتم النبيّين، ورسول ربّ العالمين- صلّى الله عليه وسلّم-، مِنْ تبّع الأوّل. وقد ذكرنا بقيّة خبره وأوّله في: (اللّمع اللؤلؤيّة شرح العَشْر بيّنات النبويّة، للفارابيّ رحمه الله)[(٥)].

قال الدّكتور مفتاح السنوسيّ بلعم: وهذا الكتاب- أيضاً- لم أعثر عليه، ولا أعرف شيئاً عنه سوى أنّ مؤلّفه ذكره في موضعين من تفسيره بشكل يختلف كلّ منهما عن الآخر...وقد علّق المحقّقون لتفسير القرطبيّ على هذا لإضطراب بقولهم: "اضطربت الأصول في هذا الكتاب، وفي اسم مؤلّفه، ولم نعثر عليه"[(٦)].

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) مسند أحمد ٣٤/٤١٩.

(٣) ينظر: تفسيره ١٠/٢٦٨.

(٤) الدّخان: ٣٧.

(٥) ينظر: تفسيره ١٦/١٤٦.

(٦) ينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ومنهجه في التّفسير ص١٤٤. وينظر تعليق محقّق تفسيره في هامش صفحة ١٦/١٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- المقتبس من شرح موطّأ مالك بن أنس.

أكثر القرطبيّ- رحمه الله- من ذكر هذا الكتاب في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وعلّل بعضهم بأنّ السّبب في ذلك يرجع إلى احتمال كون الإمام ألّفه قبل جامعه هذا[١].

فمن المواطن، قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢]: "...ومن حجتّهم حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- قال: (إذا رفع الإمام رأسه من آخر سجدة في صلاته، ثمّ أحدث فقد تمّت صلاته)[٣]. وهو حديث لا يصحّ على ما قاله أبو عمر، وقد بيّناه في كتاب: (المقتبس)"[٤].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[٥]: "...روى مالك عن يحيى بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح: أنّه سمعه يذكر أنّه أُرْخِص للرّعاء أن يرموا باللّيل، يقول في الزّمن الأوّل. قال الباجي: (قوله: في الزّمن الأوّل) يقتضي إطلاقه زمن النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-؛ لأنّه أوّل زمن هذه الشّريعة، فعلى هذا هو مرسل. ويحتمل أن يريد به أوّل زمن أدركه عطاء، فيكون موقوفاً مسنداً. والله أعلم...وقد ذكرناه في: (المقتبس في شرح موطّأ مالك بن أنس)"[٦].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[٧]: "قد أتينا على ما للعلماء في هذا الباب- مِنْ أَكْثَر الحيض، وأَقَلِّه، وأَقَلّ الطّهر، وفى الاستظهار، والحجّة في

(١) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٥١.

(٢) البقرة: ٣.

(٣) مصنّف عبد الرزّاق الصنعانيّ ٢/٣٥٣، والاستذكار ١/٥٢٤.

(٤) ينظر: تفسيره ١/١٧٣.

(٥) البقرة: ٢٠٣.

(٦) ينظر: تفسيره ٣/٩.

(٧) البقرة: ٢٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك- في: (المقتبس في شرح موطّأ مالك بن أنس)"[١].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[٢]: "وهذه الآية تدخل في كثير من الأحكام، وهي ممّا خصّ الله بها هذه الأمّة...وروي عن ابن عبّاس، والحسن البصريّ: أنّ هذه في تقديم الأهلّة وتأخيرها في الفطر، والأضحى، والصّوم. فإذا أخطأت الجماعة هلالَ ذي الحجّة فوقفوا قبل يوم عرفة بيوم، أو وقفوا يوم النّحر أجزأهم، على خلاف فيه؛ بيّناه في كتاب: (المقتبس في شرح موطّأ مالك بن أنس ﷺ)"[٣].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٤]: "...وقد روي من حديث أنس، قال: سئل رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- عن أولاد المشركين، فقال: (لم تكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنّة، ولم تكن لهم سيّئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من أهل النّار، فهم خدم لأهل الجنّة)[٥]، ذكره يحيى بن سلام في التّفسير له[٦]. وقد زدنا هذه المسألة بياناً في كتاب: (التّذكرة)، وذكرنا في كتاب: (المقتبس في شرح موطّأ مالك بن أنس)"[٧].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ

---

(١) ينظر: تفسيره ٣/٨٤.

(٢) الحجّ: ٧٨.

(٣) ينظر: تفسيره ١٢/١٠٠.

(٤) الرّوم: ٣٠.

(٥) مسند أبي داود الطّيالسي ٣/٥٨٠، والقضاء والقدر للبيهقيّ ص٣٥٥.

(٦) ينظر: تفسير يحيى بن سلام ٢/٦٥٧.

(٧) ينظر: تفسيره ١٤/٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْعِدَّةَ﴾[١]: "...وقد انفصل علماؤنا عن هذا أحسن انفصال. بيانه في غير هذا الموضع. وقد ذكرناه في كتاب: (المقتبس من شرح موطّأ مالك بن أنس)"[٢].

هذا؛ وقد رجّح مشهور حسن محمود سلمان في كتابه (الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير): كون كتاب (المقتبس، والتّقريب، وشرح التقصّي)[٣] ثلاثة مسمّيات لكتاب واحد؛ قال: "إذْ لم أَرَ من جمع نسبة هذه الكتب أو كتابين منها له. فذكر كارل بروكلمان عند حديثه عن (التّمهيد) أنّ الإمام القرطبيّ اختصره، وذكر أنّ له نسخة في مكتبة القرويين بفاس. وذكر الزّركليّ في ترجمة القرطبيّ أنّ له: (التّقريب لكتاب التّمهيد)، وقال: في مجلّدين ضخمين في خزانة القرويين بفاس، الرّقم (١١٧/٨٠). وألمع القرطبيّ عند ذكره كتاب (المقتبس) في مسألة: (مصير أولاد المشركين)، أنّه ذكر كلام أبي عمر- أيْ: ابن عبد البرّ- فيها؛ وهذا يقوّي ما ذكرناه، ويؤيّد ما ذهبنا إليه: ما علّقه بعض نسّاخ (الذّيل والصّلة) فكتبوا في هامشه عند ترجمة الإمام القرطبيّ: "واختصر التّمهيد، وزاد زيادات مناسبة، وتكلّم على الآثار في خمسة أسفار"[٤].

هذه هي الكتب التي ذكرها الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في بعض مؤلّفه، ونسبها لنفسه، وذكرها من ترجم له، ووقفت على ذكر أكثرها في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وعلى بعضها في كتابيه: (التّذكار في أفضل الأذكار)، و(التّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة). وله تآليف أخرى وتعاليق مفيدة غير ما ذُكِر تنسب إليه- وهي تدلّ على إمامته وكثرة اطّلاعه- ذكرها من ترجم له، ولم أقف على ذكر أسمائها في كتبه المطبوعة، منها:

١- رسالة في ألقاب الحديث.

ذكر الدّكتور مفتاح السنوسيّ بلعم في كتابه (القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة): أنّ لهذا

---

(١) الطّلاق: ١.

(٢) ينظر: تفسيره ١٥٢/١٨.

(٣) هذه الكتب منتسبة للإمام القرطبيّ.

(٤) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٥١-١٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكتاب نسخة خطيّة في مكتبة الجزائر، تحت رقم (٣٧٧)[١].

٢- كتاب الأقضية.

منه نسخة خطيّة في الآصفية بالهند جـ١/ص٦٥٨[٢].

٣- أرجوزة.

ذكر ابن فرحون في (الدّيباج المذهب) هذا الكتاب ونسبه للقرطبيّ، قال: "وله أرجوزة، جمع فيها أسماء النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-"[٣]. وقال حاجي خليفة في (كشف الظّنون): "أرجوزة في أسماء النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- لأبي عبد الله القرطبيّ. ثمّ شرحها، فذكر فيها ما زاد على الثّلاثمائة"[٤].

(١) ينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ص١٤٨.

(٢) ينظر: السّابق ص١٤٩.

(٣) ينظر: الدّيباج المذهب ص٣١٧.

(٤) ينظر: كشف الظّنون ١/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكانته العلميّة:

تضافرت أقوال المؤرّخين على بيان مكانة الإمام القرطبيّ العلميّة. ولم أقف على أحد ممّن كتب عنه قد غمزه أو عابه بكلمة؛ ولعلّ السّبب في ذلك يرجع إلى ما يلي:

١- أنّ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- كان يلتزم الأصول العلميّة، ويتبع أساليب العلماء الفضلاء في الأمانة العلميّة؛ وقد أشار إلى هذا في مقدّمة تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): "وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنّفيها؛ فإنّه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"(١).

٢- اجتهاده وكثرة قراءته ومطالعته؛ وهذا شأن العلماء الكبار، وسمة العارفين الفضلاء.

٣- إنصافه وعدم تعصّبه لمذهبه المالكيّ، بل كان- رحمه الله- يمشي مع الدّليل حتّى يصل إلى ما يرى أنّه الصّواب أيّاً كان قائله.

٤- أمانته العلميّة في بيان مختلف الآراء، وموضوعيّته، ولين جانبه، وعفّة لسانه، ورقّة عبارته، وحسن فهمه ومناظرته، وتصنيفه، وتفريعه، وعرضه للمسائل.

٥- شموليّة معرفته بالتّفسير، وإجادته لألوان أخرى من الثّقافة والمعرفة؛ فهو- رحمه الله- بالإضافة إلى تصدّره في ميدان علم التّفسير كان فقيهاً، وعالماً بالقراءات وحروفها، ومحدّثاً، ومؤرّخاً، ولغويّاً، وأصوليّاً، وعارفاً بالعقائد والفرق والملل والنّحل.

ثناء العلماء عليه- رحمه الله-:

للإمام القرطبيّ- رحمه الله- مكانة عظيمة ورفيعة عند العلماء؛ وأصدق الشّواهد على هذا ما نجده في: (نفح الطّيب من غصن الأندلس)، فقد نقل صاحب هذا الكتاب ثناء تلامذته عليه، وانتصاراتهم لهم، قال: "وفي تاريخ الكتبيّ في حقّه ما نصّه: كان شيخاً فاضلاً، وله تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه ووفور علمه، منها: (تفسير القرآن) مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلّداً. انتهى.

---

(١) ينظر: تفسيره ١/٢-٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته: قد أجحف المصنّف في ترجمته جدّاً، وكان متفنّناً، متبحّراً في العلم. انتهى.

وكتب بعض بإثر هذا الكلام ما نصّه: قال الذهبيّ: رحل، وكتب، وسمع، وكان يقظاً فهماً، حسن الحفظ، مليح النّظم، حسن المذاكرة، ثقة، حافظاً. انتهى.

وكتب آخر إثر ذلك الكلام ما صورته: مشاحة شيخنا للمصنّف في هذه العبارة ما لها فائدة؛ فإنّ الذهبيّ قال في تاريخ الإسلام: العلاّمة أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الإمام القرطبيّ؛ إمام، متفنّن، متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدلّ على كثرة اطّلاعه، ووفور عقله وفضله. ثمّ ذكر موته، وقال بعده: وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرّكبان، وله (الأسنى في شرح الأسماء الحسنى)، و(التّذكرة)، وأشياء تدلّ على إمامته، وذكائه، وكثرة اطّلاعه. انتهى.

وكتب آخر بإثر هذا الكلام ما نصّه: غفر الله لك، إذا كان الذهبيّ ترجم له بما ذكرتَ- وهو والله فوق ذلك- فكيف تقول: إنّ مشاحة شيخك لا فائدة فيها، وتسيء الأدب معه، وتقول إنّ كلامه لا فائدة فيه؟! فالله يستر عليك. انتهى"[(١)].

وفاته- رحمه الله-:

أجمعت كتب التّراجم على أنّ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- توفي ليلة الاثنين التّاسع من شوّال سنة: (٦٧١هـ) في مصر بمنية بني خُصَيْب، وهي مدينة تقع بالصّعيد الأدنى، شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: (المِنْيَا). وقبره معروف اليوم بمكان يسمّى: (أرض سلطان) بالمِنْيَا، وقد بني هناك مسجد كبير، يحمل اسم الإمام القرطبيّ، في عام: (١٩٧١م)[(٢)]. رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنّاته، وجعلنا من السّائرين على دربه. آمين

---

(١) ينظر: نفح الطّيب من غصن الأندلس ٢/٢١١.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيّات ٢/٨٧، والدّيباج المذهب ص٣١٨، وطبقات المفسّرين للسيوطيّ ص٩٢، ونفح الطّيب من غصن الأندلس ٢/٢١١، والأعلام للزّركليّ ٥/٣٢٢، والإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص٤٥-٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثّاني: (الجامع لأحكام القرآن)، وقيمته العلميّة من خلال الدّراسات التي تناولته

لما كان هذا الكتاب من أجود كتب التّفسير وأكثرها نفعاً؛ لسهولة أسلوبه، وحسن تنظيم مسائله وتبويب قضاياه؛ كان اهتمام العلماء وطلبة العلم به استمرّ طيلة قرون منذ وفاة القرطبيّ- رحمه الله- إلى أيّامنا هذه، والأدلّة على ذلك كثيرة، منها:

أوّلاً: كثرة نسخه الخطيّة:

إنّ عدد النّسخ الخطيّة التي توافرت من هذا التّفسير بلغ أربعاً وعشرين نسخة، منها أكثر من نسخة كاملة. وقد توافر هذا العدد في دار الكتب، والمكتبات الأخرى بمصر وحدها. وإنّ تواريخ نسخ هذه المخطوطات تأرجحت بين القرن الثّامن الهجريّ (٧٣٧)، والقرن الرّابع عشر الهجريّ (١٣٣٠)؛ ممّا يدلّ على امتداد العناية بهذا التّفسير. وإنّ كاتبي هذه النّسخ المتعدّدة مختلفو المذاهب؛ فمنهم: الشّافعيّ والحنفيّ؛ وفي هذا دليل على ما لتفسير القرطبيّ من درجة عالية لدى جميع المشتغلين بالعلوم الدينيّة، ولو لم يكونوا مثله من المالكيّة[(١)].

ثانياً: اعتناء المفسّرين به واعتمادهم عليه في مؤلّفاتهم:

لهذا التّفسير أثر كبير على مؤلّفي التّفاسير القرآنيّة الذين جاؤا بعده، فنقلوا عنه كثيراً في مجالات علوم القرآن، والحديث، واللّغة، والنّحو، والفقه، وأسباب النّزول. وقد كان ذلك إشارة منهم إلى أهميّته وعظيم فائدته؛ فمن نقولهم:

قول أبي حيّان الأندلسيّ- المتوفّى سنة: (٧٤٥هـ) في تفسيره (البحر المحيط)- عند قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[(٢)]: "...وقد روي أنّه نزلت: (والصّلاة الوسطى صلاة العصر)، ثمّ نسخت فنزلت: (حافظوا على

(١) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٠١.

(٢) البقرة: ٢٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصّلوات والصّلاة الوسطى)، فيلزم من هذا نسخ تعيينها، وأُبْهِمَتْ بعد أن عُيِّنَتْ. قال القرطبيّ المفسّر: وهو الصّحيح إن شاء الله؛ لتعارض الأدلّة وعدم التّرجيح، فلم يبق إلّا المحافظة على جميعها وأدائها"(١).

وقول ابن عادل الحنبليّ الدمشقيّ- الذي أكثر النّقل عنه في تفسيره (اللّباب في علوم الكتاب)- عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا﴾(٢): "قال القرطبيّ: ويَسْتَحِيي أصله: (يَسْتَحْيِيُ) عينه ولامه حرفا علّة، أعلّت (اللّام) منه بأن استثقلت الضمّة على (الياء) فسكنت، والجمع: مُسْتَحْيُون ومُسْتَحْيِين، وقد جاء: اِسْتَحَى يَسْتَحِي فهو: مُسْتَحٍ، مثل: اسْتَقَى يَسْتَقِي"(٣).

ويقول ابن قيّم الجوزيّة- المتوفّى سنة: (٧٥١هـ)- في كتابه (الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة)، وهو ينقل عن القرطبيّ- رحمه الله-: "وقال أبو عبد الله القرطبيّ المالكيّ في (شرح الأسماء الحسنى) لما ذكر اختلاف النّاس في تفسير الاستواء، قال: وأظهر الأقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الآي، والأخبار، وقاله الفضلاء الأخيار أنّ الله على عرشه كما أخبر في كتابه، وعلى لسان نبيّه، بلا كيف، بائن من خلقه. هذا مذهب السّلف الصّالح فيما نقل عنهم الثّقات"(٤).

وممّن نقل عنه وأفاد من تفسيره: ابن كثير القرشيّ البصريّ، المتوفّى سنة: (٧٧٤هـ)، في كتابه (تفسير القرآن العظيم)، يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٥): "وقال القرطبيّ في تفسيره، وفي (نوادر الأصول) عن أنس عن النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- قال: (لو أنّ الدّنيا بحذافيرها في يد رجل من أمّتي، ثمّ قال: الحمد لله،

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/٥٤٥.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) ينظر: اللّباب في علوم الكتاب ١/٤٦٢.

(٤) ينظر: الصّواعق المرسلة ٤/١٢٩٢.

(٥) الفاتحة: ٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكان الحمد لله أفضل من ذلك). قال القرطبيّ، وغيره: أيْ لكان إلهامه (الحمد لله) أكبر نعمة عليه من نعم الدّنيا؛ لأنّ ثواب (الحمد) لا يفنى، ونعيم الدّنيا لا يبقى"[(١)].

ويقول محمّد بن أحمد الخطيب الشربينيّ- المتوفّى سنة: (٩٧٧هـ)، في تفسيره (السّراج المنير)- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[(٢)]: "وقال القرطبيّ (لم يطمثهنّ): لم يصبهنّ بالجماع قبل أزواجهنّ أحد. وهذا شامل لنساء الجنّة ولنساء الدّنيا بعد إنشائهنّ خلقاً جديداً"[(٣)].

وأمّا محمّد بن عليّ الشوكانيّ اليمنيّ، المتوفّى سنة: (١٢٥٠هـ) صاحب تفسير (فتح القدير)، فينقل عن القرطبيّ- رحمه الله- كثيراً؛ حيث اعتمد على تفسيره اعتماداً كبيراً؛ من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[(٤)]: "قال القرطبيّ: أجمع المسلمون على أنّ السّوأتين عورة من الرّجل والمرأة، وأنّ المرأة كلّها عورة إلّا وجهها ويديها على خلاف في ذلك"[(٥)].

ثالثاً: مختصراته:

وممّا يدلّ على شدّة العناية بهذا الكتاب، اختصاره وانتقائه لطلبة العلم؛ فقد اختصره الشّيخ سراج الدّين، عمر بن عليّ بن الملقّن الشّافعيّ، المتوفّى سنة: (٨٠٤هـ)[(٦)]. وانتقاه توفيق الحكيم، فاستخرج منه فقرات خاصّة في كثير من سور القرآن، وممّا يجد له صلة بمشكلات النّاس في هذا العصر، وما يشغلهم من أمور الدّين وقضاياه، وسمّاه: (مختار تفسير

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣٠.

(٢) الرّحمن: ٥٦.

(٣) ينظر: السّراج المنير ٤/١٧٣.

(٤) النّور: ٣٠.

(٥) ينظر: فتح القدير ٤/٢٩.

(٦) ينظر: كشف الظّنون ١/٥٣٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرطبيّ). وقد عَنْوَن لهذه المختارات بعنوانات موضوعيّة[١].

رابعاً: الدّراسات التّي تناولته:

جذبت الباحثين والدّارسين دقّةُ الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في تفسيره، وعنايته بذكر قضايا متعدّدة من قضايا الفكر والعلم؛ فاستفاد منه المفسّر، والمحدّث، والفقيه، والنحويّ، واللغويّ، والأديب؛ ووضعوه في مقدّمة أمّات المصادر والمراجع الإسلاميّة والعربيّة؛ وأفرد بعضهم دراسات وأبحاثاً عنه- رحمه الله-، منها:

١- ما نشره الشّيخ محمّد بهجت البيطار عن (الجامع لأحكام القرآن) في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، تحت عنوان: (مخطوطات ومطبوعات)، جاء في مقدّمته: "كنّا نسمع بهذا التّفسير الجليل قبل أن نراه، فلمّا طبع أقبلنا عليه نتصفّح أجزاءه لنقف على خصائصه ومزاياه...ينقل المؤلّف في هذه المباحث أو المسائل من تفسير المفردات اللغويّة وإيراد الشّواهد الشعريّة، إلى بحث اشتقاق الكلمات ومآخذها، إلى تصريفها وإعلالها، إلى تصحيحها وإعرابها، إلى ما قاله أئمّة السّلف فيها، إلى ما يختار المؤلّف- أحياناً- من معانيها. أحسن المؤلّف كلّ الإحسان بعزو الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب السّتّة وغيرهم، وقد يتكلّم على الحديث متناً وسنداً، قبولاً وردّاً وهو يسند الأقوال إلى قائليها- أيضاً- ومن بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله"[٢].

٢- ما نشره الأستاذ أحمد أحمد بدويّ في الرّسالة، تحت عنوان: (من المفسّرين في عصر الحروب الصليبيّة: القرطبيّ)، وجاء فيه بعد ذكر شيء من حياة الإمام القرطبيّ- رحمه الله-: "وهو لا يقف في تفسير القرآن عندما روى من ذلك عن الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم-، والسّلف الصّالح؛ بل يتّخذ ما أوتيه من أدوات العلم وسيلة يستعين بها على فهمه،

(١) ينظر: مقدّمة توفيق الحكيم على كتابه (مختار تفسير القرطبيّ) ص٦-٨، والإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص١٠٢.

(٢) ينظر: مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، تحت عنوان: (مخطوطات ومطبوعات) المجلّد العشرون عام: ١٩٤٥م، ص٥٦٢-٥٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان يعدّ معرفة ما أثر من ذلك ضرورياً لفهم كتاب الله...ويُعْمِل فكره في الاستدلال والاستنباط لا لمجرّد الهوى، ولكن اعتماداً على قوانين العلوم، ووقوفاً عند حدودها، وأخذاً عن السّلف ما يرى ضرورة الأخذ به من تفسير المجمل، وحلّ المشكل"[(١)].

٣- ما كتبه الدّكتور محمّد السّيد الذهبيّ في كتابه (التّفسير والمفسّرون) عن الإمام القرطبيّ- رحمه الله-، قال: "وأمّا من ناحية الأحكام، فإنّا نلاحظ عليه أنّه يفيض فى ذكر مسائل الخلاف ما تعلّق منها بالآيات عن قُرْب، وما تعلّق بها عن بُعْد، مع بيان أدلّة كلّ قول... وخير ما فى الرّجل أنّه لا يتعصّب لمذهبه المالكيّ، بل يمشي مع الدّليل حتّى يصل إلى ما يرى أنّه الصّواب أيّاً كان قائله...وعلى الجملة: فإنّ القرطبيّ- رحمه الله- فى تفسيره هذا حرّ فى بحثه، نزيه فى نقده، عفّ فى مناقشته وجدله، مُلِمّ بالتّفسير من جميع نواحيه، بارع فى كلّ فنّ استطرد إليه وتكلّم فيه...أمّا الكتاب فقد كان النّاس محرومين منه إلى زمن قريب، ثمّ أراد الله له الذّيوع بين أولي العلم، فقامت دار الكتب المصريّة بطبعه"[(٢)].

٤- ما ألّفه الدّكتور القصبي محمود زلط عن الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في رسالته للدّكتوراه بكليّة أصول الدّين في جامعة الأزهر، بعوان: (القرطبيّ ومنهجه في التّفسير)، وهي مطبوعة في دار الأنصار بالقاهرة، سنة: (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

٥- دراسة الدّكتور يوسف عبد الرّحمن الفِرت، بعنوان: (القرطبيّ المفسّر، سيرة ومنهج)، وهي رسالته للدّكتوراه، طبعت في دار القلم بالكويت، سنة: (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م). فهاتان الرّسالتان تناولتا حياة الإمام القرطبيّ- رحمه الله-، وآثاره العلميّة، ومنهجه في التّفسير، وطريقة عرضه للمادّة العلميّة.

٦- من المؤلّفات التي اهتمت بتناول الإمام القرطبيّ- أيضاً- ما ألّفه: مشهور حسن محمود سلمان، بعنوان: (الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير)، طبعته دار القلم بدمشق، عام: (١٩٩٣م). جاء في مقدّمته: "فهذه دراسة أساهم بها في سلسلة (أعلام المسلمين)، تتناول

---

(١) ينظر: الرّسالة، العدد: ٨٥٦، المجلّد: ٢، السّنة: (١٩٤٩م) ص١٧٠٣-١٧٠٥.

(٢) ينظر: التّفسير والمفسّرون ٣٣٨/٢، و٣٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شخصيّة من أبرز الشخصيّات من حيث أثرها، وما تركت من مؤلّفات حسان، وما زالت- وستبقى- كنوزاً للباحثين، ومرجعاً أصيلاً للعلماء والمطّلعين...."[١].

٧- ما ألّفه الدّكتور مفتاح السنوسيّ بلعم، بعنوان: (القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ومنهجه في التّفسير)، طبعته دار الكتب الوطنيّة بنغازي، عام: (١٩٩٨م)، جاء في مقدّمته: "للإمام القرطبيّ تفسير مشهور بين الباحثين وطلّاب الثّقافة الإسلاميّة، وقد اشتمل هذا التّفسير على معارف متعدّدة، وبحوث علميّة مفيدة. الأمر الذي دفعني إلى التّفكير في دراسة هذا التّفسير، وبيان منهج مؤلّفه فيه خدمة لطلّاب العلم، ومساهمة في إحياء التّراث الإسلاميّ...ولما كان الإمام القرطبيّ كذلك رأيت أن أذكر نشاطه العلميّ، ومشاركته في نشر العلوم الشرعيّة والثّقافة الإسلاميّة، ومناقشاته لعلماء عصره الذين التقى بهم.."[٢].

٨- ما ألّفه الدّكتور عمر علوي عبد الرّحمن بن شهاب- المشرف على هذا البحث حفظه الله- بعنوان: (الشّعر الجاهليّ في تفسير القرآن الكريم- دراسة توثيقيّة دلاليّة إسلوبيّة معجميّة- في شواهد ابن عبّاس، وتفسيري الكشّاف والقرطبيّ)، وهو رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر- كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة القاهرة، عام: (٢٠٠٢م). جاء في مقدّمته: "إنّ اختياي لدراسة الشّعر الجاهليّ في تفسير القرآن الكريم دون سواه، قصدت به درس اللّغة التي ارتكز على قواعدها، وبنى على هيكلها ومرتكزاتها قرآننا المجيد، فما عنيت بدرس الشّواهد التّفاسير لذاتها كما قد يتبادر للوهلة، لكنّني آثرت درس النصّ الذي عرف وشاع وذاع قبل نزول الوحي الأمين، على سيّد الأمم وخاتم الرّسل...حيث أمسكت بالشّاهد مباشرة في كتب تفسير محدّدة، مثّلت في نظري أهمّ كتب تفسير القرآن الكريم عبر العصور من حيث تفرّد كلّ منها بسمات وخصائص لا تجدها في سواه...وتفسير القرطبيّ المسمّى (الجامع لأحكام القرآن)، والذي أوعى وألمّ بمجمل الأحكام والتّشريعات التي منها وإليها يصدر ويرد المشرّعون ومستنبطو الأدلّة العقليّة والنقليّة...هو عالم فذّ من علماء

(١) ينظر: الإمام القرطبيّ شيخ أئمّة التّفسير ص٧.

(٢) ينظر: القرطبيّ حياته وآثاره العلميّة ص٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المالكيّة، كثيراً ما يفيض تفسيره بذكر القراءات والإعراب، ويشرح الغريب من الألفاظ، ويضيف الأقاويل إلى قائليها، وينقل عن العلماء السّابقين الثّقات...ولقد تحدّث القرطبيّ نفسه عن تفسيره في مقدّمة هذا التّفسير، وحكى أنّه يتضمّن نكتاً من التّفسير، واللّغات، والإعراب، والقراءات، مع إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنّفيها، فإنّه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

والحقّ أنّ القرطبيّ قد وفّى بما شرط على نفسه، فهو يعرض لذكر أسباب النّزول، والقراءات، والإعراب، ويبيّن الغريب من ألفاظ القرآن، ويحتكم كثيراً إلى اللّغة، ويكثر من الإستشهاد بأشعار العرب، وإذا نقل عن السّلف نسب كلّ قول إلى قائله وفاء بشرطه، ويضيف من ناحية الأحكام في ذكر مسائل الخلاف ما تعلّق منها بالآيات عن قرب وما تعلّق منها عن بعد، مع بيان أدلّة كل قول"[(١)].

وممّا يدلّ على اهتمام طلبة العلم بهذا التّفسير إفرادهم بأبحاث ودراسات تتناول جوانب مختلفة كلّها تثري المكتبات العربيّة والإسلاميّة. ومن هذه الدّراسات: المشروع العلميّ الضّخم، الذي قدّمه مجموعة من طلّاب وطالبات جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة- كليّة الدّعوة وأصول الدّين- قسم الكتاب والسنّة، بعنوان: (ترجيحات الإمام القرطبيّ في التّفسير). ومن هؤلاء:

- خالد محمّد صالح زريق الشهرانيّ، (من أوّل الآية "١٨٩" من سورة البقرة إلى آخر الآية "١٥٢" من سورة آل عمران، عام: ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

- فهد بن زويد بن مزيد العطريّ، (من أوّل سورة الرّعد إلى آخر سورة إبراهيم، عام: ١٤٣٨هـ، ٢٠٠٧م).

- عبد الله حسين محمّد ساكو، (من أوّل الآية "١٥٣" من سورة آل عمران إلى آخر الآية "٤٢" من سورة النّساء، عام: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

- مامودو محمّد كوما، (من الآية: "٤٣" من سورة النّساء إلى آخر سورة المائدة،

(١) ينظر: الشّعر الجاهليّ في تفسير القرآن الكريم ص١٢-٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عام: ١٤٢٩-١٤٣٠هـ).

- أسماء بنت محمّد عبد الله السلوميّ، (من أوّل سورة الأنعام إلى أخرها، عام: ١٤٣٩هـ، ٢٠٠٨م).

- إيناس بكر حسن هوساويّ، (من أوّل سورة هود إلى آخر سورة يوسف، عام: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

- لولوة بنت عبد الله بن أحمد بخيت، (من آية: "١٦" سورة مريم إلى طه آية "٨٢"، عام: ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م).

- نوال بنت محمّد مكيّ سقطي، (من أوّل سورة يس إلى آخر سورة ص، عام: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

- حمدان بن حميد بن بريك السلميّ، (من أوّل سورة الجاثية إلى آخر سورة ق، عام: ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

- خلود سليمان سليم العصيميّ، (من الآية "٤١" من سورة التّوبة إلى آخر سورة يونس، عام: ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

- أميرة أسعد عليّ قنق، (من أوّل سورة المؤمنون إلى الآية: العاشرة من سورة النّور، عام: ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩).

- ناهد بنت أحمد بن عبد الباسط باجنيد، (من الآية: الحادية عشرة "سورة النّور إلى آخر سورة الفرقان"، عام: ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

- حميدان إبراهيم الصحفيّ، (من أوّل سورة الشّورى إلى آخر سورة الدّخان، عام: ٢٠١١م).

وغيرهم من الطلّاب والطّالبات الذين شاركوا في هذا المشروع الضّخم ذي الفائدة العلميّة الكبيرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً: كثرة طبعاته:

وممّا يدلّ على القيمة العلميّة لهذا الكتاب كثرة طبعاته؛ فقد طبع لأوّل مرّة في القاهرة في عشرين مجلّداً، وعنيت بتصحيحه وطبعه (دار الكتب المصريّة). وقد استمرّ طبعه سبع عشرة سنة، من: (١٩٣٣م) إلى: (١٩٦١م)، ثمّ أعادت طبعه الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر سنة: (١٩٦١م) ضمن سلسلة كتاب الشّعب في ثمانين جزءاً، ثمّ طبع في دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر- المكتبة العربيّة سنة: (١٩٦٧م) في القاهرة. وقد صوّر أكثر من مرّة في أكثر من دار للنّشر والتّوزيع في بيروت.

وهذا كلّه دليل على تلقّي العلماء وطلبة العلم لهذا التّفسير بالقبول، وانشغالهم به، ورحم الله الذهبيّ إذْ قال فيه: "إمام متفنّن متبحِّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدلّ على كثرة اطّلاعه ووُفُور فضله...وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان، وهو كامل في معناه"[(١)].

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ٥٠/٧٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

المبحث الثّاني: لغات القبائل العربيّة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: مفهوم اللّغة واللّهجة، والعلاقة بينهما عند القدماء والمحدثين.

المطلب الثّاني: المؤلّفات في لغات القبائل العربيّة.

المطلب الثّالث: تعريف موجز بالقبائل العربيّة ومواطنها التي ذكرت لغاتها معزوّة في (الجامع لأحكام القرآن).

المطلب الرّابع: لغة القرآن الكريم، وآراء العلماء في ورود ألفاظ غير عربيّة فيه، ورأي القرطبيّ في ذلك.

المطلب الخامس: أهميّة دراسة لغات القبائل العربيّة وطرقها قديماً وحديثاً، ومصادرها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأوّل: مفهوم اللّغة واللّهجة، والعلاقة بينهما عند القدماء والمحدثين

يختلف القدماء والمحدثون في تحديد مفهوم اللّغة واللّهجة، ويلحظ هذا في تناولهم لهما عند بيان حدودهما وتعريفهما.

فاللّغة: كما عرّفها ابن جنيّ في الخصائص: "أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"(١).

فابن جنيّ في هذا التّعريف حدّ اللّغة على وسيلة واحدة من وسائل التّعبير والاتّصال، وهي: الوسيلة اللغويّة التي تتمثّل فيما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبّرة عن أغراضه وحاجاته في شؤون الحياة. يفهم هذا القول من تعليق ابن سيده على هذا التّعريف، قال: "وهذا حدّ دائر على محدود محيط به لا يلحقه خلل؛ إذْ كلّ صوت يعبّر به عن المعنى المقصود في النّفس لغة. وكلّ لغة، فهي: صوت يعبّر به عن المعنى المتصوّر في النّفس"(٢).

ويقول الدّكتور محمود حجازيّ: "وهذا التّعريف دقيق، ويتّفق في جوهره مع عناصر تعريف اللّغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكّد من جانب الطّبيعة الصوتيّة للرّموز اللغويّة، ويبيّن- أيضاً- أنّ وظيفتها الاجتماعيّة هي: تعبير ونقل الفكر في إطار البيئة اللغويّة. ويذكر كذلك أنّها تؤدّي وظيفتها في مجتمع بعينه، فلكلّ قوم لغتهم"(٣).

ولكنّ الذي يظهر أنّ تعريف عليّ الجرجانيّ للّغة في كتابه: (التّعريفات) أوضح وأشمل من تعريف ابن جنيّ لها؛ إذْ يقول: "اللّغة، هي: ما يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"(٤)؛ وذلك لأنّ مصطلح اللّغة لا يقتصر على ما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبّرة عن الأغراض فحسب، وإنّما يتجاوز الوسيلة اللغويّة إلى غيرها من العلامات كالإشارات، والإيماءات،

(١) ينظر: الخصائص ١/٣٤.

(٢) ينظر: المخصّص ١/٣٥.

(٣) ينظر: اللغّة العربيّة عبر القرون ص٤.

(٤) ينظر: كتاب التّعريفات ص١٩٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتعبيرات الوجه، والرّموز، وكلّ وسيلة ينتقل بها معنى مفيد تربط بين أفراد المجتمع، ويعبّرون بها عن شؤونهم المختلفة.

وأمّا اللّغة عند المحدثين، فهي كما يقول سابير: "اللّغة وسيلة لا غريزيّة، خاصّة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار، والمشاعر، والرّغبات عبر رموز يؤدّيها بصورة اختياريّة وقصديّة"(١).

وعرّفها تشومسكي، بقوله: "اللّغة ملكة فطريّة عند المتكلّمين بلغة ما، لتكوين وفهم جمل نحويّة"(٢).

ويقول حاتم الضّامن- نقلاً عن (دي سوسير)- بأنّها: "نظام من الرّموز الصوتيّة، أو مجموعة من الصّور اللفظيّة تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغويّة، وتستخدم للتّفاهم بين أبناء مجتمع معيّن، ويتلقّاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معه عن طريق السّماع"(٣).

فاللّغة إذاً يراد بها: الألفاظ التي تدلّ على المعاني من أسماء، وأفعال، وحروف. ويراد بها النّحو، أيْ: طريق تأليف الكلمات وإعرابها للدّلالة على المقصود. وكذا يراد بها كلّ ما يتعلّق باشتقاق الكلمات وتوليدها، وبنية الكلمة ونسجها(٤).

وأمّا اللّهجة: فقد جاء في لسان العرب تحديدها لغةً، يقول ابن منظور: "اللَّهْجَة واللَّهَجَة: طرف اللّسان. واللَّهْجَة واللَّهَجَة: جرس الكلام، والفتح أعلى. ويقال: فلان فصيح اللَّهْجَة واللَّهَجَة، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. وفي الحديث: (ما من ذي لَهْجَة أصدق من أبي ذرّ)"(٥).

واللّهجة في اصطلاح المحدثين، هي- كما يقول الدّكتور إبراهيم أنيس-: "مجموعة من

(١) ينظر: اللّغة له ص٨.

(٢) ينظر: جوانب النظريّة النحويّة لتشومسكي ص٥٩٠.

(٣) ينظر: علم اللّغة له ص٣٢.

(٤) ينظر: القراءات واللّهجات لعبد الوهّاب حمودة ص٥٠٤.

(٥) ينظر: لسان العرب ٣٥٩/٢. وينظر الحديث في: مسند أحمد ٦٥٠/١١، وسنن الترمذيّ ٦٦٩/٥، وسنن ابن ماجه ٥٥/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصّفات اللغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ منها خصائصها؛ ولكنّها تشترك جميعاً في مجموعة من الظّواهر اللغويّة التي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقّف على قدر الرّابطة التي تربط بين هذه اللّهجات. وتلك البيئة الشّاملة التي تتألّف من عدّة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها: باللّغة"(١).

وعرّفها محمّد عليّ الخولي بأنّها: "الطّريقة التي تتكلّم بها جماعة ما لغة ما، والتي تميّزها عن سواها من الجماعات التي تتكلّم نفسها. واللّهجة قد تكون اجتماعيّة تميّز طبقة عن طبقة، أو جغرافيّة- أيْ: إقليميّة- تميّز إقليمياً عن إقليم"(٢).

وعرّفها حاتم الضّامن بأنّها: "مجموعة من الصّفات اللغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. والصّفات التي تتميّز بها اللّهجة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها، وكيفيّة صدورها"(٣).

يفهم من هذه التّعريفات أنّ اللّهجة تتولّد من اللّغة وتتفرّع منها، والحديث عنهما كالحديث عن العامّ والخاصّ، أو الفرع والأصل؛ فالعلاقة بينهما عند المحدثين واضحة؛ فهي كما سبق علاقة الخاصّ بالعامّ. فاللّهجة: مجموعة من الصّفات اللغويّة تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة. واللّغة: تشتمل على عدّة لهجات لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللغويّة، والعادات الكلاميّة التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات(٤).

أمّا عند اللغويّين العرب القدماء فلم تكن هذه العلاقة موجودة عندهم؛ إذْ نجدهم

---

(١) ينظر: في اللّهجات العربيّة ص١٦.

(٢) ينظر: معجم علم الأصوات ص١٤٦.

(٣) ينظر: علم اللّغة له ص٣٣.

(٤) ينظر: اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة للدّكتور عبده الرّاجحي ص٣٧، وفصول في فقه العربيّة ص٧٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حينما كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لا يستعملون مصطلح (اللّهجة) على النّحو الذي يعرف في الدّرس اللغويّ الحديث، وإنّ غاية ما يوجد في كتبهم أنّ (اللّهجة) هي: اللّسان، أو طرفه، أو جرس الكلام. ولهجة فلان: لغته التي جبل عليها، فاعتادها، ونشأ عليها. فهم بذلك يطلقون على اللّهجة (لغة، أو لغيّة)، وقد أشار إلى هذا أحمد بن فارس في كتابه الصاحبيّ، قال: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلغاتهم وأيّامهم ومحالِّهم أنّ قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً؛ وذلك أنّ الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدّاً- صلّى الله عليه وسلّم- فجعل قريشاً قُطَّانَ حَرَمِه ووُلاَةَ بَيْتِه، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يَفِدُون إلى مكّة للحجّ، ويتحاكمون إلى قريش؛ وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورِقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخَيَّرُوا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخَيَّرُوا من تلك اللّغات إلى سلائقهم التي طُبِعوا عليها، فصاروا بذلك أفصحَ العرب"[(١)].

وبوّب ابن جنيّ في الخصائص: باباً خاصّاً في اختلاف اللّغات وأنّ كلّها حجّة، قال: "اعلم أنّ سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم، ألا ترى أنّ لغة التميميّين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيّين في إعمالها كذلك؛ لأنّ لكلّ واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن تَرُدَّ إحدى اللّغتين بصاحبتها؛ لأنّها ليست أحقّ بذلك من وسيلتها، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقوّيها على أختها، وتعتقد أنّ أقوى القياسين أقبلُ لها وأشدُّ أنسابها. فأمّا ردّ إحداهما بالأخرى فلا. أوَلَا ترى إلى قول النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-: (نزل القرآن بسبع لغات كلّها كافٍ شافٍ)"[(٢)].

وجاء في المزهر: "قال ابن نوفل: سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عمّا وضعتَ ممّا سمّيته عربيّة، أيَدْخُل فيه كلام العرب كلّه؟، فقال: لا. فقلتُ كيف تصنع فيما

(١) ينظر: الصاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ص٢٨.

(٢) ينظر: الخصائص ١٢/٢. وينظر: صحيح البخاريّ ١٨٤/٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خالفتْك فيه العرب وهم حجّة، فقال: أحملُ على الأكثر، وأُسَمِّي ما خالفني لغات"[١].

فاللغويّون القدماء في هذه النّصوص يشيرون إلى أنّ القبائل العربيّة كانت لها لغات، وتلك اللّغات لم يكن الاختلاف بينها كبيراً؛ فهو يكمن في طريق نطق بعض الأصوات، وفي طبيعة الأداء. وإلى هذا يشير الدّكتور إبراهيم أنيس بقوله: "وقد كان القدماء من علماء العربيّة يعبّرون عمّا نسمّيه الآن باللّهجة بكلمة: (اللّغة) حيناً، وبـ(اللّحن) حيناً آخر. يُرَى هذا واضحاً جليّاً في المعاجم العريقة القديمة وفي بعض الرّوايات الأدبيّة، فيقولون مثلاً: الصّقر- بالصّاد- من الطّيور الجارحة، وبالزّاي لغة. وقد يُرْوَى لنا أنّ أعربيّاً يقول في معرض الحديث عن مسألة نحويّة: ليس هذا لحني ولا لحن قومي[٢]. وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم، ولغة طيّئ، ولغة هذيل، ولا يريدون بمثل هذا التّعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة: اللّهجة"[٣].

وعليه، يمكن القول: بأنّ اللّهجة ما هي إلّا لغة، وما اللّغة إلّا مزيج من اللّهجات لكلٍّ خصائصها، لكنّها تشترك جميعاً في مجموعة من الظّواهر اللغويّة التي تيسّر اتّصال أفراد بيئات اللّهجات ببعضها البعض، أيْ: إنّ بيئة اللّهجة تتميّز بصفات تخالف صفات اللّهجات الأخرى في اللّغة الواحدة. فالذي يفرّق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتيّ في غالب الأحيان، فيُرْوَى مثلاً أنّ قبيلة تميم كانوا يقولون في (فُزْتُ): فُزْدُ، كما يُرْوَى أنّ (الأَجْلَح)- وهو الأصلع- ينطق بها: (الأَجْلَه) عند بني سعد[٤].

وقد تتميّز اللّهجة- أيضاً- بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمات ونسجها، أو معاني بعض الكلمات؛ فيُرْوَى أنّ بعضاً من تميم كانوا يقولون: (مَدْيُون)، وغيرهم يقول: (مَدِين) في اسم المفعول من الفعل الثلاثيّ الأجوف اليائيّ. وأنّ بني أسد كانوا يقولون:

(١) ينظر: المزهر ١/١٤٦.

(٢) ينظر: لسان العرب ١٣/٣٨١.

(٣) ينظر: في اللّهجات العربيّة ص١٦.

(٤) ينظر: لسان العرب ١٣/٤٨٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(سكرانة) بدلاً من (سكرى) التي كان ينطق بها سائر العرب. وكما ورد أنّ كلمة: (الهِجْرِس) عند أهل الحجاز بمعنى: القرد، وعند تميم بمعنى: الثّعلب[١].

ولكن يجب أن تكون هذه الصّفات الخاصّة التي مرجعها الكلمات ودلالتها من القلّة بحيث لا تجعل اللّهجة غريبة عن أخواتها، عسيرة الفهم على أبناء اللّهجات الأخرى. فاللّهجة إذا ما تهيّأت لها من الأسباب تنمو وتكتمل حتّى تصير لغة، كما حدث للعربيّة حينما انفصلت عن أخواتها الساميّات؛ وكما أنّ اللّغة تشعّبت إلى لهجات، كذلك اللّهجة تستقلّ وتشيع وتثبت أقدامها حتّى تصير لغة[٢].

(١) ينظر: تهذيب اللّغة ٦/٢٧٠، والصّحاح ٢/٦٨٧، وتاج العروس ٣٥/٥١.

(٢) ينظر: في اللّهجات العربيّة ص١٦-١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثّاني: المؤلّفات في لغات القبائل العربيّة:

لم يكن القدماء يهتمّون بدراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل العربيّة التي كانت يتكلّمها النّاس في حياتهم العاديّة؛ بل كلّ ملاحظاتهم كانت تنصب على الفروق اللهجيّة التي دخلت الفصحى. فلم تحظ هذه اللّهجات العربيّة القديمة ببعض ما حظيت به الفصحى من تدوين ودراسة؛ وذلك خوفاً على الفصحى من أن تضارّ بدراسة لهجة ما، فكان اهتمامهم الأساسيّ بالفصحى التي تضمن الوحدة العربيّة، وإن كانت لهم إشارات مبعثرة في ثنايا كتب اللّغة، والأدب، والتّفسير، والقراءات، والحديث، وغيرها.

هذا؛ وقد ذكرت لنا كتب التّراجم أنّ عدداً من العلماء اللغويّين القدماء قد كتبوا مؤلّفات أطلقوا عليها: (كتاب اللّغات)، منها:

١- كتاب اللّغات، ليونس بن حبيب، المتوفّى سنة: (١٨٣هـ)[(١)].

٢- كتاب اللّغات، لأبي عمرو الشيبانيّ، المتوفّى سنة: (٢٠٦هـ)[(٢)].

٣- كتاب اللّغات، للفرّاء، المتوفّى سنة: (٢٠٧هـ)[(٣)].

٤- كتاب اللّغات، لأبي عبيدة معمّر بن المثنّى، المتوفّى سنة: (٢١٠هـ)[(٤)].

٥- كتاب اللّغات، لأبي زيد الأنصاريّ، المتوفّى سنة: (ت ٢١٥هـ)[(٥)].

٦- كتاب اللّغات، للأصمعيّ، المتوفّى سنة: (٢١٦هـ)[(٦)].

٧- كتاب اللّغات، لابن دريد، المتوفّى سنة: (٣٢١هـ)[(٧)].

---

(١) ينظر: الفهرست ص٦٤، وهديّة العارفين ٢/٥٧١.

(٢) ينظر: الفهرست ص٩٣، والأعلام للزركليّ ١/٢٩٦.

(٣) ينظر: الفهرست ص٩٢، وهديّة العارفين ٢/٥١٤.

(٤) ينظر: الفهرست ص٧٧، وبغية الوعاة ٢/٢٩٥، وهديّة العارفين ٢/٤٦٧.

(٥) ينظر: الفهرست ص٧٨، وهديّة العارفين ١/٣٨٧.

(٦) ينظر: الفهرست ص٧٩، وبغية الوعاة ٢/١١٣، وهديّة العارفين ١/٦٢٣.

(٧) ينظر: الفهرست ص٨٦، وهديّة العارفين ٢/٣٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨- كتاب اللّغات، للفارابيّ، المتوفّى سنة: (٣٣٩هـ)[١].

وقد علّق الدّكتور عبده الرّاجحي على هذه المؤلّفات بقوله: "ونحن لا نعرف شيئاً عن هذه الكتب؛ إذْ لم يصلنا منها كتاب واحد لسوء الحظّ، لكنّنا نستطيع أن نتبيّن بعض طرائقها ممّا نقله بعض اللغويّين؛ إذْ ينقل ابن دريد من كتاب اللّغات لأبي زيد: (إنّه لَيَأْخُذ في كلّ فَنٍّ وسَنٍّ وعَنٍّ، أيْ: في كلّ وجه. قال: ويقال: الفَكْر والفِكْر والفِكْرة، ويقال: النُّكْر والنَّكْر، ويقال: سَرَقَ سَرْقاً وسَرَقاً وسَرِقاً. ويقال: انتُقِع لونه، وامتُقِع، واهتُقِع، والتُمِع، والتُهِم، وانتُشِف...قال: ويقولون: مِتُّ ومُتُّ، ودِمْتُ ودُمْتُ. فمن قال: مِتُّ، قال: يَمَات...وأكثر ما يتكلّم بها طيّئ، وقد تكلّم بها سائر العرب. ومن قال: دِمْتُ، قال: تَدام)[٢].

وواضح من هذه النّصوص أنّ هذه الكتب كانت نوعاً من المعاجم، وأنّ مؤلّفيها لم يكونوا يهتمّون- إلّا في القليل- بعزو اللّهجات إلى أصحابها"[٣]. وممّا ألّفه القدماء من الكتب التي اهتمّت بلغات القبائل العربيّة التي وردت في القرآن الكريم، واهتمّ أصحابها- أيضاً- بعزو ما ورد فيها من الكلمات إلى من تكلّم بها، ما يلي:

١- كتاب لغات القرآن، للفرّاء، المتوفّى سنة: (٢٠٧هـ)[٤].

٢- كتاب لغات القرآن، للهيثم بن عديّ، المتوفّى سنة: (٢٠٧هـ)[٥].

٣- كتاب لغات القرآن، لأبي زيد الأنصاريّ، المتوفّى سنة: (٢١٥هـ)[٦].

٤- كتاب لغات القرآن، للأصمعيّ، المتوفّى سنة: (٢١٦هـ)[٧].

---

(١) ينظر: هديّة العارفين ٢/٤٠.

(٢) ينظر: جمهرة اللّغة ٣/١٢٩٥، و٣/١٣٠٧.

(٣) ينظر: اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة ص٥١-٥٢.

(٤) ينظر: الفهرست ص٥٤.

(٥) ينظر: السّابق.

(٦) ينظر: السّابق

(٧) ينظر: السّابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- كتاب اللّغات في القرآن، لابن حسنون السامرائيّ، المتوفّى سنة: (٣٨٦هـ)[١].

٦- كتاب لغات القرآن، لمحمّد بن يحيى القطيعيّ[٢].

وقد وصلنا بعض هذه الكتب، ككتاب الفرّاء. وممّا جاء فيه من الأمثلة، قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣] : "وفي (نَسْتَعِين) لغتان: فأمّا قريش، وكنانة فينصبون النّون، وعليها القراءة. وعامّة العرب من تميم، وأسد، وقيس، وربيعة يقولون: نِسْتَعِين، وتِسْتَعِين، وأنا إِسْتَعِين. ولا يقولون: هو يِسْتَعِينُ، بكسر الياء؛ لأنّ الياء قد يُتْرَكُ كسرُها في الإعراب الذي تستحقّه، فهي هاهنا أولى بأن يُسْتَثْقَل فيها الكسرُ؛ ألا ترى أنّهم لا يقولون: مررتُ بقاضٍي؛ استثقالاً للكسر في الياء؛ فكذلك استُثْقِل الكسرُ فيها. وقد يقول ذلك بعض كَلْبٍ، وهي من الشاذّ"[٤].

وكذلك وصلنا كتاب ابن حسنون السامرائيّ. وممّا جاء فيه من الأمثلة، قوله عند قوله تعالى: ﴿رَغَدًا﴾[٥]، يعني: الخصب بلغة طيّئ. وقوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾[٦]، يعني: الموت بلغة عُمَان"[٧].

وأمّا اللغويّون المحدثون فقد تنوّعت دراستهم للغات القبائل العربيّة، فمنهم من تناول لغة واحدة لقبيلة بعينها، ومنهم من تناول اللّغات العربيّة عامّة؛ وفي كلتا الدّراستين يقوم الباحث بجمع كلّ ما يمكنه من ظواهر تلك اللّغة لقبيلة بعينها، أو لمجموعة قبائل كثيرة ممّا احتفظت بها كتب التّراث، ويقدّم دراسة تاريخيّة وجغرافيّة واجتماعيّة عن أصحابها، ويحلّل مادّتها اللغويّة، ويصنّفها إلى عناصرها، ويدرس كلّ جوانبها- الصوتيّة، والصرفيّة، والنحويّة،

(١) ينظر: الأعلام للزركليّ ٤/٧٩.

(٢) ينظر: الفهرست ص٥٤.

(٣) الفاتحة: ٥.

(٤) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن ص٦-٧.

(٥) البقرة: ٣٥.

(٦) البقرة: ٥٥.

(٧) ينظر: اللّغات في القرآن ص٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والدلاليّة- ويجتهد في الكشف عن العوامل التي أثّرت فيها، واستنباط القوانين التي خضعت لها. ومن هذه المؤلّفات:

١- أثر اختلاف اللّهجات العربيّة في النّحو، للدّكتور يحيى عليّ يحيى المباركيّ، نشرته دار النّشر للجامعات بالقاهرة، عام: (٢٠٠٧م).

٢- الجوانب النحويّة في لهجات العرب وموقف النّحاة منها، للدّكتور مصطفى عبد العزيز السنجرجيّ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة، كليّة دار العلوم، سنة: (١٩٦٨م).

٣- خصائص لغة تميم أصواتاً وبنية ودلالة، لمحمّد بن أحمد بن سعيد العمري، رسالة ماجستير من قسم الدّرسات العليا العربيّة- كليّة الشّريعة بمكّة المكرّمة، عام: (١٣٩٦هـ).

٤- العربيّة ولهجاتها، للدّكتور عبد الرّحمن أيّوب، وقد طبع الطّبعة الأولى بمطابع سجلّ العرب بالقاهرة، سنة: (١٩٦٨م).

٥- الفصحى ولهجاتها دراسة تاريخيّة مقارنة، للدّكتور عبد الفتّاح البركاويّ، وقد طبع الطّبعة الأولى، سنة: (١٤٠٥هـ).

٦- في اللّهجات العربيّة، للدّكتور إبراهيم أنيس، نشرته مكتبة الأنجلو المصريّة بالقاهرة.

٧- اللّغات العربيّة في تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسيّ- الجانب النحويّ، لدينا محمّد بن حمود بن الحسين الحارثيّ، رسالة ماجستير في جامعة أمّ القرى، عام: (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

٨- لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه، للدّكتور إسماعيل محمود منيزل القيام، الطّبعة الأولى عام: (٢٠٠٨م).

٩- لغات طيّئ، للدّكتور محمّد يعقوب تركستانيّ، رسالة دكتوراه بجامعة أمّ القرى، عام: (١٤٠٢هـ).

١٠- لغات قيس، للدّكتور محمّد بن أحمد العمري، رسالة دكتوراه بجامعة أمّ القرى، سنة: (١٤٠٢هـ).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١- لغة تميم دراسة تاريخيّة وصفيّة، للدّكتور ضاحي عبد الباقي، طبعته الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميريّة بالقاهرة، سنة: (١٤٠٥هـ).

١٢- لغة قريش، لمختار سيدي الغوث، وهو من إصدارات النّادي الأدبيّ بالرّياض، سنة: (١٤١٢هـ).

١٣- لهجات العرب، لأحمد تيمور باشا، وقد طبعته الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، سنة: (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م).

١٤- اللّهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة، للمستشرق تشيم رابين، عام (١٩٥١م). وقد ترجمه الدّكتور عبد الكريم مجاهد، وطبع في دار الفارس للنّشر والتّوزيع عام: (٢٠٠٢م).

١٥- اللّهجات العربيّة القديمة، للدّكتور داود سلوم، وهو من إصدارات دار عالم الكتب ببيروت، الطّبعة الأولى، سنة: (١٤٠٦هـ).

١٦- اللّهجات العربيّة في التّراث، للدّكتور أحمد علم الدّين الجندي، نشرته الدّار العربيّة للكتاب، سنة: (١٩٨٣م).

١٧- اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة، للدّكتور عبده الراجحيّ، نشرته دار المعرفة الجامعيّة بالإسكندريّة، سنة: (١٩٩٨م).

١٨- اللّهجات العربيّة نشأة وتطوّراً، للدّكتور عبد الغفّار حامد هلال، وقد نشرته دار الفكر العربيّ بالقاهرة سنة: (١٤١٨هـ).

١٩- اللّهجات العربيّة، للدّكتور إبراهيم نجا، نشرته مطبعة السّعادة سنة: (١٣٩٦هـ).

٢٠- اللّهجات في الكتاب لسيبويه- أصواتاً وبنية-، لصالحة بنت راشد آل غنيم، وهو من إصدارات مركز البحث العلميّ وإحياء التّراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى، الطّبعة الأولى، سنة: (١٤٠٥هـ).

٢١- اللّهجات في كتاب سيبويه دراسة نحويّة، لعبد الله بن عبد الرّحمن سعد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العيّاف، رسالة دكتوراه في جامعة أمّ القرى، عام: (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

٢٢- لهجة بني عقيل، للدّكتور عادل محمّد عبد الرّحمن، كليّة العلوم الإنسانيّة- جامعة بغداد-، مجلّة كليّة الإمام الأعظم، العدد الرّابع، السّنة الثّانية عام: (٢٠٠٧م).

٢٣- لهجة بني كلاب، للدّكتور موسى مصطفى العبيدان، نشرته دار البلاد بجدّة، الطّبعة الأولى سنة: (١٤١٨هـ).

٢٤- لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة، للدّكتور غالب فاضل المطلبيّ، منشورات وزارة الثّقافة والفنون، الجمهوريّة العراقيّة، عام: (١٩٧٨م).

٢٥- لهجة ربيعة دراسة لغويّة في ضوء علم اللّغة الحديث، للدّكتور عبد الهادي أحمد السلمون، جامعة الأزهر- كليّة اللّغة العربيّة بأسيوط- سنة: (١٤١٧هـ).

٢٦- لهجة قبيلة أسد، لعليّ ناصر غالب، من منشورات دار الشّؤون الثقافيّة العامّة بغداد، الطّبعة الأولى عام: (١٩٨٩هـ).

٢٧- مظاهر اختلاف لغات العرب، للدّكتور عبد الرّحمن محمّد إسماعيل، وقد نشرته مكتبة عيسى الحلبيّ، سنة: (١٤٠٥هـ).

٢٨- المقتبس من اللّهجات العربيّة والقرآنيّة، للدّكتور محمّد سالم محيسن، نشرته مؤسّسة شباب الجامعة للطّباعة والنّشر بالإسكندريّة، عام: (١٩٨٦م).

٢٩- المقتضب في لهجات العرب، للدّكتور محمّد رياض كريم، كليّة اللّغة العربيّة بالزّقازيق، عام: (١٩٩٦م).

٣٠- مقدّمة للدّراسة في اللّهجات العربيّة، للدّكتور مُحَمَّد أحمد خاطر، نشرته مطبعة الحسين الإسلاميّة بالقاهرة، سنة: (١٩٧٨م).

٣١- من لغات العرب لغة هذيل، للدّكتور عبد الجواد الطيّب، جامعة طرابلس.

٣٢- ميزان الذّهب في معرفة لهجات العرب، للدّكتور عبد التّواب مرسي حسن الأكرت، نشرته مكتبة الآداب القاهرة، عام: (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الثّالث: تعريف موجز بالقبائل العربيّة ومواطنها، التي ذكرت لغاتها معزوّة في (الجامع لأحكام القرآن):

لا شكّ أنّ دراسة لغات القبائل العربيّة تقتضي التحدّث عن أقسام القبائل العربيّة، والبيئات المختلفة التي عاشت فيها تلك القبائل، والمناطق التي نشأت فيها لغات تلك القبائل؛ وهذا يقودنا إلى فهم العلاقات بين هذه اللّغات على أرض الجزيرة العربيّة، ولنطّلع على أهمّ أسباب تعدّد اللّغات؛ لذا سيكون هذا المطلب مقصوراً على ذكر مواطن القبائل التي ورد ذكرها عند الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

أوّلاً: القحطانيّون

وهم بنو قحطان بن عابر بن شَالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السّلام. وهم عرب اليمن، وتسمّى عربيّتهم بالقحطانيّة، أو العربيّة الجنوبيّة. وأمّا القبائل التي تنتمي إلى قحطان فهي من نسل فرعين كبيرين، هما[(١)]:

الفرع الأوّل: حِمْيَر

وقد كانت منازلهم الأولى بأرض سبأ من (اليمن) في موضع يقال له: حِمْيَر، غرب صنعاء[(٢)].

الفرع الثّاني: كهلان

وهم بنو كهلان بن سبأ، وكانوا متداولين الملك باليمن مع بني حمير. و(كَهْلاَن) جبل يقع في صعدة بأرض اليمن[(٣)].

وهذان الفرعان من أولاد سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان. ومنهما تفرّعت القبائل والبطون اليمنيّة. قال المبرّد: "وإنّما تفرّقت قبائل اليمن من كهلان والعَرَنْجج، وهو:

(١) ينظر: نسب عدنان وقحطان للمبرّد ص١٨، وجمهرة أنساب العرب ص٨، وص٣٢٩، والأعلام ١٩٠/٥.

(٢) ينظر: معجم البلدان للياقوت الحمويّ ٣٠٦/٢-٣٠٧.

(٣) ينظر: معجم البلدان ٤٩٦/٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حِمْيَر"[١]. وقال ابن حزم: "...فولد سبأ: كهلان؛ والعَرَنْجَج، وهو حمير؛ وفيهما العدد والجمهرة"[٢]. ومن القبائل والبطون التي تفرّعت منهما، ما يلي:

١ – قضاعة:

شعب عظيم. اختلف النسّابون فيه، فقوم يقولون هو: قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير. فهم من القبائل القحطانيّة، أيْ: من بني حمير بن سبأ. وذهب بعضهم إلى أنّ قضاعة من العدنانيّة، ويقولون هو: قضاعة بن معد بن عدنان. والمشهور القول الأوّل، وهو الصّحيح، كما قال القَلْقَشَنديّ، والسهيليّ[٣].

وأمّا عن ديارهم، فيقول عمر كحالة: "كانت ديارهم في الشِّحْر، ثمّ في نجران، ثمّ في الحجاز، ثمّ في الشّام. فكان لهم مُلْك ما بين الشّام والحجاز، إلى العراق في أَيْلَة وجبال الكرك، إلى مشارف الشّام. واسْتَعْمَلَهُم الرّوم على بادية العرب هناك"[٤].

ومن نماذج مجيء اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن)، قول الإمام القرطبيّ– رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٥]: "وإذا وقفت قلت: (أَنَا) زدت "الألف" لبيان الحركة، وهي اللّغة الفصيحة. وقال الأخفش: ومن العرب من يقول:" أَنَ". وقال الكسائيّ: ومن العرب من يقول:" أَنَهْ". ثلاث لغات.

وفي الوصل– أيضاً– ثلاث لغات: أن تحذف "الألف" في الإدراج؛ لأنّها زائدة لبيان الحركة في الوقف. ومن العرب من يثبت "الألف" في الوصل، كما قال الشّاعر:

---

(١) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص١٨.

(٢) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص٣٢٩.

(٣) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص٢٣، جمهرة أنساب العرب ص٨، والرّوض الأنف ٦٠/١، وصبح الأعشى ٣٦٧/١، ومعجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

(٤) ينظر: معجم قبائل العرب ٩٥٧/٣.

(٥) الأنعام: ٧٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنَا سَيْفُ العَشِيرَةِ فَاعْرِفُونِي ... حُمَيْداً قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا

وهي لغة بعض بني قيس وربيعة، عن الفرّاء. ومن العرب من يقول في الوصل: آنَ فعلت، مثل عَانَ فعلت، حكاه الكسائيّ عن بعض قضاعة"(١).

٢- عُذْرَة:

جاء في معجم قبائل العرب: "عذرة بن سعد: بطن عظيم من قضاعة من القحطانيّة، وهم: بنو عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة"(٢).

ويقول القلقشنديّ في صبح الأعشى: "وإلى عذرة هؤلاء ينسب العشق والتتيّم، ومنهم عروة بن حزام صاحب (عفراء) أحد المتيّمين، وجميل صاحب (بثينة). ومن أحسن ما يحكى أنّه قيل لرجل منهم: ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة؟ قال: لأنّ فينا جمالاً وعفّة... ولهم بقايا بالدقهليّة والمرتاحيّة من الدّيار المصريّة، وبقايا بالشّام أيضاً"(٣).

٣- كلب:

وهم: بنو كلب بن وبرة. بطن من قضاعة من القحطانيّة. وأمّا عن مساكنهم فقد حدّدها الهمدانيّ بقوله: "وأمّا كلب فمساكنها السّماوة، ولا يخالط بطونها في السّماوة أحد...وما وقع في ديار كلب من القرى: تدمر، وسلميّة، والعاصميّة، وحمص"(٤). ويقول عمر كحالة: "كانوا ينزلون دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشّام، ونزل خلق عظيم على خليج القسطنطينيّة"(٥).

٤- القَيْن:

بطن من قضاعة من القحطانيّة، وهم: بنو القين، واسمه: النّعمان بن جَسْر بن شيع

(١) ينظر: ص٢٣١، من البحث.

(٢) ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٧٦٨/٢.

(٣) ينظر: صبح الأعشى ٣٦٨/١.

(٤) ينظر: صفة جزيرة العرب ص١٢٩، و١٣٢.

(٥) ينظر: معجم قبائل العرب ٩٩١/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللّات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة. ومن منازلهم حفير. قال عمر كحالة: "اختصمت وكلب في قراقر. وحاربوا في غزوة ذات السّلاسل سنة: (٧ هـ). وانضمّ منهم إلى الرّوم في غزوة مؤتة"(١).

وقد أورد القرطبيّ- رحمه الله- هذه القبائل الثّلاث (عُذْرَة، وكلب، والقَيْن) في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٢)، قال: "قرئ: السّراط بـ"السّين" من الاسترواط بمعنى: الابتلاع؛ كأنّ الطّريق يسترط من يسلكه. وقرئ بين "الزّاي والصّاد". وقرئ "بزاء" خالصة. و"السّين" الأصل. وحكى سلمة عن الفرّاء قال: الزّراط بإخلاص "الزّاي" لغة لعذرة وكلب وبني القين، قال: وهؤلاء يقولون في أصدق: أزدق، وقد قالوا: الأزد والأسد، ولسق به ولصق به"(٣).

٥- كندة:

قبيلة عظيمة من كهلان تنتسب إلى كندة، واسمه: ثور بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. قيل سميّ: بكندة؛ لأنّه كَنَد أباه، أيْ: كفر نعمته. كانت بلادهم بجبال اليمن ممّا يلي حضرموت، وكان لهم ملك باليمن والحجاز. ومن قراهم: الكسر، وهي قرى كثيرة بحضرموت يقال لها: كسر قشاقش(٤). يقول الهمدانيّ: "وفي حضرموت سكنت كندة بعد أن أجلت عن البحرين"، ويصف بلادهم بقوله: "وبلد كندة مرتفع كأنّه سراة، وتصبّ أوديته في حضرموت"(٥).

وقد جاء ذكرهم في (الجامع لأحكام القرآن)، يقول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير

(١) ينظر: معجم قبائل العرب ٩٧٤/٣. وينظر: جمهرة أنساب العرب ص٤٥٤، ونسب عدنان وقحطان ص٢٤.

(٢) الفاتحة: ٦-٧.

(٣) ينظر: ص١٣٤، من البحث.

(٤) ينظر: صبح الأعشى ٣٨١/١، ومعجم قبائل العرب ٩٩٨/٣.

(٥) ينظر: صفة جزيرة العرب ص٨٦، وص٨٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[١]: "وقد روي عن ابن عبّاس- أيضاً- أنّه قال: (الكَنُود) بلسان كندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور. وبلسان كنانة: البخيل السيّئ الملكة"[٢].

٦- الأزد:

من أعظم القبائل العربيّة وأشهرها. تنتسب إلى: الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، من القحطانيّة. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: أزد شنوءة، ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. كانت منازلهم السّراة.

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[٣]: "قال ابن عبّاس: تجعلون شكركم التّكذيب. وذكر الهيثم بن عديّ: أنّ من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان؟ أيْ: ما شكره"[٤].

الثّاني: أزد السّراة، كانت منازلهم في الجبال المعروفة بهذا الاسم. وأمّا (السّراة): فموضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به.

قال القرطبيّ- رحمه الله- وهو يذكر اسم هذه القبيلة عند تفسير قوله: ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[٥]: "وقرأ طلحة بن مصرّف، وأبو عبد الرّحمن السلميّ، وغيرهما: (دِمْتَ) بكسر الدّال وهما لغتان؛ والكسر لغة أزد السّراة، من: دِمْتَ تَدَام، مثل: خِفْتَ تَخَافُ"[٦].

الثّالث: أزد عُمَان. كانت منازلهم بعُمَان. و(عُمَان): مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم، فعرفوا بها.

---

(١) العاديات: ٦.

(٢) ينظر: ص٦٥٤، من البحث.

(٣) الواقعة: ٨٢.

(٤) ينظر: ص٦٣٤، من البحث.

(٥) آل عمران: ٧٥.

(٦) ينظر: ص٢٦٤، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أمثلة ورود اسم هذه القبيلة قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾[(١)]: "أيْ: عِنَباً، بلغة عُمَان، قاله الضحّاك"[(٢)].

٧- طيّئ:

جاء في صبح الأعشى: "وهم: بنو طيّئ بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وإليهم ينسب حاتم الطائيّ المشهور بالكرم، وأبو تمّام الطائيّ الشّاعر المشهور. كانت منازلهم باليمن، فخرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرّقهم بسيل العرم، فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني أسد؛ ثمّ غلبوا بني أسد على جبلي: (أجأ وسلمى) من بلاد نجد، فنزلوهما فعرفا بجبلي طيّيء إلى الآن؛ ثمّ افترقوا في أوّل الإسلام زمن الفتوحات في الأقطار"[(٣)].

ومن أمثلة ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- هذه القبيلة في جامعه، قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[(٤)]: "وقرأ الحسن (مَا بَقَى) بالألف، وهي لغة طيّئ، يقولون للجارية: جَارَاة، وللنّاصية: نَاصَاة"[(٥)].

٨- مَذْحِج[(٦)]:

بطن من كهلان من القحطانيّة، وهم: بنو مَذْحِج، واسمه: مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وقد كان أغلبهم يسكنون اليمن. وهي من القبائل اليمنيّة التي ظلّت مستقرّة في اليمن، وتسكن سروا، عرف بسرو مذحج. ومن منازلهم: بينون، والحيرة[(٧)].

---

(١) يوسف: ٣٦.

(٢) ينظر: ص٦٨٧، من البحث.

(٣) ينظر: صبح الأعشى ١/٣٧٢.

(٤) البقرة: ٢٧٨.

(٥) ينظر: ص٣٥٤، من البحث.

(٦) على وزن (مَفْعِل)، قال الجوهريّ: (مَذْحِج، مثال مَسْجِد). ينظر: الصّحاح ١/٣٤٠.

(٧) ينظر: صفة جزيرة العرب ص٩٢، والإنباه ص١٢٠، وقلائد الجمان ص٨٩، ومعجم قبائل العرب ٣/١٠٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- اسم هذه القبيلة عند قوله تعالى: ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[١]: (كُبِتُوا)، قال أبو عبيدة، والأخفش: أُهْلِكُوا. وقال قتادة: أُخْزُوا كما أُخْزِيَ الذين من قبلهم. وقال ابن زيد: عُذِّبُوا. وقال السديّ: لُعِنُوا. وقال الفرّاء: غِيظُوا يوم الخندق. وقيل: يوم بدر. والمراد: المشركون. وقيل: المنافقون. وقيل: (كُبِتُوا)، أيْ: سيكبتون؛ وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنّصر؛ وأُخْرِج الكلامُ بلفظ الماضي تقريباً للمُخْبَر عنه. وقيل: هي بلغة مَذْحِج[٢].

٩- بنو الحارث:

جاء في نهاية الأرب: "بنو الحارث: بطن من مَذْحِج من القحطانيّة، وهم: بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عِلّة بن جلد بن مالك بن أُدَد. ومالك هو: مذحج"[٣].

ويقال لهم: (بلحارث بن كعب)، وهم من أهمّ قبائل اليمن، تقع ديارها بين صنعاء ومأرب، وقد كانت مساكنها في شعوب ممّا يلي صنعاء، وتمتدّ أراضيها إلى طرف بلاد بني حشيش في قرية الفرس. وسكنوا في مقاطعة نجران، وكانوا جيراناً لبني ذهل بن مزيقياء[٤].

يقول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- وهو يورد اسم هذه القبيلة في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[٥]: "...قال أبو حاتم: يريد الحسن- فيما أحسب- (وَلاَ أَدْرَيْتُكُمْ بِهِ)، فأبدل من "الياء" ألفاً على لغة بني الحارث بن كعب، يبدلون من "الياء" ألفاً إذا انفتح ما قبلها، مثل: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾"[٦].

---

(١) المجادلة: ٥.

(٢) ينظر: ص٦٩٣، من البحث.

(٣) ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص٤٩.

(٤) ينظر: معجم قبائل العرب ١/٢٢٥، و ١/٢٣١.

(٥) يونس: ١٦.

(٦) طه: ٦٣. وينظر: ص١٨١، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- النّخع:

بطن من مَذْحِج من القحطانيّة، وهم: بنو النّخع، واسمه: جسر بن عمرو بن علّة بن جلد بن مذحج-وهو مالك- بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وقيل له (النّخع)؛ لأنّه انتخع من قومه، أيْ: بَعُدَ عنهم فنزل بيشة، ونزلوا في الإسلام الكوفة، وانتشر ذكرهم(١).

جاء ذكرهم في تفسير الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٢)، قال: "(يَيْأَس) بمعنى يعلم، لغة النّخع، وحكاه القشيريّ عن ابن عبّاس، أيْ: أفلم يعلموا، وقاله الجوهريّ في الصّحاح"(٣).

١١- زُبَيْد:

بطن من مَذْحِج، وهو منبّه الأكبر بن صعب بن سعد العشيرة، من بني زيد بن كهلان من القحطانيّة. ويعرف بزُبَيْد الأكبر، منهم بطن يعرف بزُبَيْد الأصغر بن ربيعة.

من بلادهم وقراهم: فعّن، فرغان، تثليث، سازة، مربع. ومن حصونهم باليمن: مثوة، هيوة، العصم، ريمة من حصون صنعاء، وأنسب"(٤).

١٢- خثعم:

قبيلة من القحطانيّة، تنتسب إلى خثعم، واسمه: أَفْتَل بن أنمار بن إرَاش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. كانت منازلهم بجبال السّراة وما والاها(٥). جاء في نهاية الأرب: "وبلاد خثعم مع إخوتهم بَجِيلَة بسروات اليمن والحجاز إلى

(١) ينظر: اللّباب في تهذيب الأنساب ٣/٣٠٤.

(٢) الرّعد: ٣١.

(٣) ينظر: ص٦٧٥، من البحث.

(٤) ينظر: اللّباب في تهذيب الأنساب ٢/٦٠، ونهاية الأرب ص٢٦٨، ومعجم قبائل العرب ٢/٤٦٥.

(٥) ينظر: نسب معد واليمن الكبير ص٣٤٣، ص٣٥٦، ومعجم قبائل العرب ١/٣٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قبالة، وقد افترقوا في الآفاق أيّام الفتح، فلم يبق منهم في مواطنهم إلّا القليل"[١].

وقد أورد القرطبيّ- رحمه الله- هاتين القبيلتين (زُبَيْد، وخثعم) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾[٢]، قال: "قلت: وللعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة- أيْ: (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَان) بتشديد نون (إنّ)- ستّة أقوال، ذكرها ابن الأنباريّ في آخر كتاب الردّ له، والنحّاس في إعرابه. القول الأوّل من الأقوال الستّة: أنّها لغة بنى الحرث بن كعب، وزُبَيْد، وخَثْعَم، وكنانة بن زيد؛ يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بـ"الألف"، يقولون: جاء الزّيدان، ورأيتُ الزّيدان، ومررتُ بالزّيدان"[٣].

١٣- خزاعة:

بنو خزاعة، قبيلة من الأزد من القحطانيّة، وهم: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا. وعمرو هذا أبو خزاعة كلّها، ومنه تفرّقت بطونها.

نقل القلقشنديّ قول ابن الكلبيّ في سبب تسميتهم بخزاعة، قال: "وسمّوا خزاعة؛ لأنّ بني مازن بن الأزد لما تفرّقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء بين زُبَيْد ورفع، يقال له: غسّان، وأقبل بنو عمرو بن لُحَيّ فانخزعوا[٤] علن قومهم فنزلوا مكّة، ثمّ أقبل بنو سلم ومالك وملكان بن أقصى بن حارثة فانخزعوا عن قومهم أيضاً، فسمّي الجميع خزاعة"[٥]. وكانت مواطنهم: مكّة ومَرّ الظّهران وما بينهما، وكانوا حلفاء لقريش، وكان لخزاعة ولاية البيت بعد جُرْهُم. وبقايا خزاعة بأرض الحجاز، وغزّة[٦].

---

(١) ينظر: نهاية الأرب ٢٤٣.

(٢) طه: ٦٣.

(٣) ينظر: ص٥٢٤، من البحث.

(٤) قال الخليل بن أحمد: (خَزَعَ: الخُزُوع: تخلّف الرّجل عن أصحابه في مسيرهم. وسمّيت خزاعة بذلك، لأنّهم ساروا مع قومهم من سبأ أيّام سيل العرم، فلمّا انتهوا إلى مكّة تخزّعوا عنهم فأقاموا وسار الآخرون إلى الشّام). ينظر: العين ١١٤/١.

(٥) ينظر: نهاية الأرب ص٢٤٤. وينظر: نسب عدنان وقحطان ص٢٢.

(٦) ينظر: قلائد الجمان ص٩٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن)، قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[(١)]، قال: "وقيل: (الرّجاء) هنا بمعنى: الخوف، أيْ: مالكم لا تخافون لله عظمة، وقدرة على أحدكم بالعقوبة...وقال ابن عبّاس- أيضاً- ومجاهد: مالكم لا ترون لله عظمة. وعن مجاهد والضحّاك: ما لكم لا تبالون لله عظمة. قال قطرب: هذه لغة حجازيّة، وهذيل، وخزاعة، ومضر يقولون: لم أَرْجُ: لم أبال"[(٢)].

١٤- لخم:

بطن عظيم، ينتسب إلى لخم، واسمه: مالك بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، من القحطانيّة.

وهي من القبائل اليمنيّة التي هاجرت إلى الشّمال، يقول ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: "ودار لخم بالشّام بين مصر وبين الشام حوالى العريش"[(٣)]. وفي معجم قبائل العرب: "كانت مساكنهم متفرّقة، وأكثرها بين الرّملة، ومصر في الجفار، ومنها في الجولان، ومنها في حوران، والبثنيّة، ومدينة نوى. ومن بلادهم بفلسطين: رفح، وحدس بالشّام، وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس، فدعيت باسمهم، وتسمّيها العامّة اليوم: بيت لحم"[(٤)].

وقد جاء ذكرهم في تفسير القرطبيّ- رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[(٥)]، قال: "أَمْلَق، أيْ: افتقر. وأَمْلَقَه، أيْ: أفقره، فهو لازم ومتعدّ. وحكى النقّاش عن مؤرّج أنّه قال: الإملاق الجوع بلغة لخم"[(٦)].

هذه القبائل- التي مرّت بنا- وما تفرّع منها من البطون هي من العرب العاربة، وهم

---

(١) نوح: ١٣.

(٢) ينظر: ص٦٧٩، من البحث.

(٣) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص٤٢٤.

(٤) ينظر: معجم قبائل العرب ٣/١٠١١-١٠١٢.

(٥) الأنعام: ١٥١.

(٦) ينظر: ص٦٨٦، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلّص من العرب؛ وهم بنو قحطان الذين تكلّموا بلسان يعرب بن قحطان. جاء في لسان العرب: "والعرب العاربة: هم الخلّص منهم، وأخذ من لفظه فأكّد به، كقولك: ليل لائل، تقول عرب عاربة وعرباء: صرحاء. ومتعرّبة ومستعربة: دخلاء، ليسوا بخلّص"(١).

ثانياً: العدنانيّون

هم بنو نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان. وهم شعب عظيم يتّصل نسبهم بإسماعيل- عليه السّلام- باتّفاق من النسّابين. واختلفوا في عدد الآباء بينه وبين إسماعيل؛ فذكر بعضهم: سبعة آباء بينهما. وذكر بعضهم مثل ذلك، إلّا أنّهم خالفوهم في بعض الأسماء. وعن طائفة منهم: تسعة آباء مخالفة- أيضاً- في بعض الأسماء. وعن طائفة: خمسة عشر أباً بين عدنان وإسماعيل عليه السّلام. وعن طائفة: أربعون أباً.

وأمّا مواطنهم: فقد كانت مختصّة بنجد، وكلّهم بادية رحّالة، إلّا قريشاً فكانوا يقيمون بمكّة، ثمّ انتشروا في تهامة والحجاز، ثمّ في العراق والجزيرة، ثمّ افترقوا في كثير من بقاع الأرض(٢). جاء في قلائد الجمان: "قال السهيليّ: ولا يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجد أحد من قحطان إلّا طيّئ من كهلان فيما بين الجبلين: سلمى وأجأ. قال: ثمّ افترق بنو عدنان في تهامة الحجاز، ثمّ في العراق والجزيرة- يعني الجزيرة الفراتيّة فيما بين دجلة والفرات-، ثمّ افترقوا بعد الإسلام في الأقطار"(٣).

ويقال للقبائل المنتسبة إلى عدنان وما تفرّع منها من البطون: العرب المستعربة أو المتعرّبة. ويذكرون في قصّة تسميتهم بذلك: أنّ لغة إسماعيل- عليه السّلام- كانت العبرانيّة أو السريانيّة، فلمّا نزلت جُرْهُم- من القحطانيّة- عليه وعلى أمّه بمكّة تزوّج منهم، وتعلّم منهم هو وبنوه العربيّة، فسمّوا بذلك، ويعرفون- أيضاً-: بالعدنانيّة، نسبة إلى عدنان من ولد إسماعيل عليه السّلام. وقد قسّم النسّابون عدنان إلى فرعين كبيرين، هما:

---

(١) ينظر: لسان العرب ١/٥٨٦.

(٢) ينظر: الإنباه على قبائل الرّواة ص١٦، ومعجم قبائل العرب ٢/٧٦١.

(٣) ينظر: قلائد الجمان في التّعريف بقبائل عرب الزّمان ص١١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفرع الأوّل: مضر

مضر بن نزار: قبيلة عظيمة من العدنانيّة. جاء في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: "وصار لمضر بن نزار: حيّز الحرم إلى السّروات، وما دونها من الغور، وما والاها من البلاد لمساكنهم، ومراعي أنعامهم من السّهل والجبل"(١). وامتدّت ديارها بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرّان، والرّقة، وشمشاط، وسروج، وتل موزن. وكانت ديارهم بالجزيرة بين دجلة والفرات، مجاورة الشّام، ومن مدنهم الواقعة شرقيّ الفرات: الرّافقة. وكانوا أهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم رياسة مكّة، ويجمعهم فخذان عظيمان: خندف، وقيس(٢). ويقول الهمدانيّ: "ومنازلهم مكّة وما والاها من تهامة؛ وانتشروا فيما يليهم من البلاد، وتنافسوا في المنازل والمحالّ؛ وأرض العرب يومئذ خاوية وليس فيها بتهامتها، ونجدها، وحجازها، وعروضها كثير أحد لإخراب بُخْت نصرّ إيّاها، وإجلاء أهلها إلّا من كان اعتصم منهم برؤوس الجبال وشعابها"(٣).

الفرع الثّاني: ربيعة

وهم: بنو ربيعة بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. وهم شعب عظيم فيهم قبائل عظام، وبطون، وأفخاذ. ويقال له: ربيعة الفَرَس؛ لأنّ الذي أصابه من ميراث أبيه بوصيّة أبيه الخيل(٤).

---

(١) ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/١٨.

(٢) ينظر: معجم قبائل العرب ٣/١١٠٧.

(٣) ينظر: صفة جزيرة العرب ص٤٦.

(٤) يقول صاحب الإنباه على قبائل الرّواة: "ويقال لربيعة: ربيعة الفرس، ولمضر: مضر الحمراء؛ وذلك فيما يزعمون أنّه لما مات نزار بن معدّ بن عدنان تقسّم بنوه ميراثه، واستهموا عليه؛ وكان لنزار فرس مشهورَ فضلِه في العرب فأصاب الفرسَ ربيعةُ؛ فلذلك سمّيت ربيعة الفرس. وكان لنزار ناقة حمراء مشهورةَ الفضلِ في العرب فأصاب الناقةَ مضرٌ؛ فلذلك سمّيت مضر الحمراء، وكانت لنزار- أيضاً- جفنة عظيمة يطعم فيها الطّعام فأصاب الجفنة إياد. وكان له قدح كبير يسقي به إذا أطعم فأصاب القدح أنمار، فيما يذكرون. والله أعلم". ينظر: الإنباه ص٨٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت ديار هذا الشّعب كما يقول عمر كحالة: "فيما يليه من بلاد نجد وتهامة، فكانت بقرن المنازل، وحضن، وعكاظ، وركبة، وحنين، وغمرة أوطاس، وذات عرق، والعقيق، وما والاها من نجد، ومعهم كندة...ثمّ وقعت الحرب بين بني ربيعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الفناء والهلاك، فتفرّقت ربيعة في تلك الحرب، وتمايزت فارتحلت بطونها إلى بقاع مختلفة؛ فاختار بعضهم البحرين، وهجر، وظواهر بلاد نجد، والحجاز، والكور الواقعة بين الجزيرة، والعراق"(١). ويقول القلقشنديّ: "وديارهم بين اليمامة، والبحرين، والعراق... قلت: وببلاد أسوان من الدّيار المصريّة قوم منهم"(٢).

وإلى هذين الفرعين- مضر وربيعة- ينتهي نسب عدنان، ومنهما تفرّعت القبائل والبطون المنتمية إلى عدنان. وفيما يلي ذكر ما وقفنا عليه في (الجامع لأحكام القرآن):

١- قُرَيْش:

قبيلة عظيمة، وهم: بنو النّضر بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. وهذه النّسبة هي المعتمدة عند جمهور النسّابين.

واختلفوا- أيضاً- في تسميتها، فقال قوم: قُرَيْش من القرش، وهو: الكسب والجمع. وقال بعضهم: من التّقريش، وهو: التّفتيش. وقيل: الصّحيح إنّها سمّيت لاجتماعها؛ من قولهم: فلان يتقرّش مال فلان، أيْ: يجمعه شيئاً إلى شيء(٣). وتنقسم قريش إلى قسمين عظيمين:

قُرَيْش البِطاح، وقُرَيْش الظّواهر. أمّا قريش البِطاح: فهي قبائل كعب بن لؤيّ، وهم: بنو عبد مناف، بنو عبد العزّى، بنو عبد الدّار، بنو زهرة، بنو تيم، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عديّ بن كعب؛ وهؤلاء هم الذين ينزلون

(١) ينظر: معجم قبائل العرب ٤٢٤/٢. وينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١٨/١، و٧٩/١-٨٠.

(٢) ينظر: معجم قبائل العرب ٤٢٤/٢.

(٣) ينظر: الفائق في غريب الحديث ١٨٤/٣، والصحّاح ١٠١٦/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشّعب بين أخشبي مكّة. وأمّا قريش الظّواهر، فهي: قبائل بني عامر بن لؤيّ بن يخلد بن النّضر؛ وهم الذين ينزلون خارج الشّعب[(١)].

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة الشّريفة (في الجامع لأحكام القرآن)، قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[(٢)]: "اختلف القرّاء في قراءة: (أَأَنْذَرْتَهُمْ)، فقرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، والأعمش، وعبد الله بن أبي إسحاق: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الأولى وتسهيل الثّانية، واختارها الخليل وسيبويه، وهي لغة قريش وسعد بن بكر، وعليها قول الشّاعر:

أَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ ... وَبَيْنَ النَّقَا آنْتَ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ"[(٣)].

٢- تميم:

قبيلة عظيمة من العدنانيّة، وهم: بنو تميم بن مرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. يقول عمر كحالة: "كانت منازلهم بأرض نجد، دائرة من هنالك على البصرة واليمامة، حتّى يتّصلوا بالبحرين، وانتشرت إلى العُذَيْب من أرض الكوفة، ثمّ تفرّقوا في الحواضر، ولم تبق منهم باقية، وورث منازلهم الحيّان العظيمان بالشّرق غزية من طيّئ، وخفاجة من بني عقيل بن كعب"[(٤)]. ويقول ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: "وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب"[(٥)].

ومن مواطن ورود اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن) قول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾[(٦)]: "قال سيبويه:

---

(١) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص٢، والإنباه على قبائل الرّواة ٤٣، ومعجم قبائل العرب ٩٤٨/٣.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) ينظر: ص٢٠٧، من البحث.

(٤) ينظر: معجم قبائل العرب ١٢٦/١.

(٥) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص٢٠٧.

(٦) الأنعام: ٩٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن العرب من يقول: قُنْوَان. قال الفرّاء: هذه لغة قيس، وأهل الحجاز يقولون: قِنْوَان، وتميم يقولون: قِنْيَان، ثمّ يجتمعون في الواحد فيقولون: قِنْو وقَنْو"[(١)].

٣- بنو العَنْبَر:

بطن من تميم، من العدنانيّة، ويقال لهم: بَلْعَنْبَر. وهم: بنو العنبر بن عمرو بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. يقول عمر كحالة: "ومن أوديتهم: الأعزلة، وفلج"[(٢)].

وقد ورد اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن)، يقول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(٣)]: "قوله تعالى: (لِيُحَاجُّوكُمْ) نصب بـ"لام كي"، وإن شئت بإضمار "أنْ"، وعلامة النّصب حذف "النّون". قال يونس: وناس من العرب يفتحون "لام كي". قال الأخفش: لأنّ الفتح الأصل. قال خلف الأحمر: هي لغة بني العنبر"[(٤)].

٤- بنو يَرْبُوع:

بطن من تميم، من العدنانيّة، وهم: بنو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان[(٥)].

يقول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في ذكر اسم هذه القبيلة عند قوله تعالى:﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾[(٦)]: "وقراءة العامّة: (بِمُصْرِخِيَّ) بفتح "الياء". وقرأ الأعمش وحمزة: (بِمُصْرِخِيِّ) بكسر "الياء". والأصل فيها: بِمُصْرِخِينِيَّ، فذهبت "النّون" للإضافة، وأدغمت

(١) ينظر: ص٢٦١، من البحث.

(٢) ينظر: معجم قبائل العرب ٨٤٥/٢. وينظر: نهاية الأرب ص٦٨.

(٣) البقرة: ٧٦.

(٤) ينظر: ص٢٥٥، من البحث.

(٥) ينظر: معجم قبائل العرب ١٢٦٢/٣. وينظر: نهاية الأرب ص٤٥٠.

(٦) إبراهيم: ٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"ياء" الجماعة في "ياء" الإضافة. فمن نصب فلأجل التّضعيف...ومن كسر فلالتقاء السّاكنين حرّكت إلى الكسر؛ لأنّ "الياء" أخت الكسرة...قال قطرب: هذه لغة بني يربوع يزيدون على "ياء" الإضافة ياءً"(١).

٥- هُذَيْل:

هذيل بن مدركة، بطن من مدركة بن إلياس، من العدنانيّة. وهم: بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. يقول القلقشنديّ: "وديارهم بالسّروات، وسراتُهم متّصلة بجبل غزوان المتّصل بالطّائف. ولهم مياه وأماكن في جهات نجد وتهامة، بين مكّة والمدينة"(٢).

وقد ذكر القرطبيّ- رحمه الله- اسم هذه القبيلة في مواطن كثيرة في جامعه، من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣): "وقرأ الجَحْدَرِيّ (هُدَيَّ) ، وهو لغة هذيل، يقولون: هُدَيَّ وَعَصَيَّ وَمُحْيَيَّ. وأنشد النحويّون لأبي ذؤيب يرثي بنيه:

سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ ... فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِ جَنْبٍ مَصْرَعُ"(٤).

٦- كنانة:

قبيلة عظيمة، من العدنانيّة، وهم: بنو كنانة بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. كانت ديارهم بجهات مكّة، وقدمت طائفة منهم الدّيار المصريّة. وحدّد الهمدانيّ مساكنهم بقوله: "ثمّ بلد حرام من كنانة: وهو وادي أتمة وضَنْكَان، والحرّة حرّة كنانة والمعقد وحَلْي، وهو مخلاف وقصبتها الصّحَارِيَة، ووادي المحرم والسَّرَيْن ساحل كنانة"(٥).

(١) ينظر: ص١٧٩، من البحث.
(٢) ينظر: قلائد الجمان ص١٣٣. وينظر: معجم قبائل العرب ١٢١٣/٣.
(٣) البقرة: ٣٨.
(٤) ينظر: ص١٧٤، من البحث.
(٥) ينظر: صفة جزيرة العرب ص١٢٠. وينظر: معجم قبائل العرب ٩٩٦/٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أورد الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في جامعه اسم هذه القبيلة، قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[(١)]: "و(حَيْثُ) مبنيّة على الضمّ؛ لأنّها خالفت أخواتها الظّروف في أنّها لا تضاف، فأشبهت (قَبْلُ، وبَعْدُ) إذا أُفْرِدَتَا فضمّت. قال الكسائيّ: لغة قيس، وكنانة الضمّ. ولغة تميم الفتح"[(٢)].

٧- قيس:

شعب عظيم ينتسب إلى قيس عَيْلان- أو قيس بن عَيْلان- بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. قيل: قيس بن عَيْلان، واسم عَيْلان: النّاس، فـ(عَيْلان) على هذا أبو قيس. وقيل: عَيْلان فرسه، وقيل: خادمه، وقيل: كلبه. فعلى هذا يقال قيس عَيْلان بإضافة قيس إلى عيلان. قال ابن حزم: "والأصحّ أنّه قيس بن مضر، وأنّ (عَيْلان) عبد حضنه، فنسب قيس إليه"[(٣)]. ولكثرة البطون المتفرّعة عنه جُعل في مقابلة عرب اليمن قاطبة، إدراجاً لسائر العدنانيّة فيه، فيقال: قيس، ويمن[(٤)].

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة، قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[(٥)]: "قوله (قِيلَ): من القَوْل، وأصله: قُوِلَ، نقلت كسرة "الواو" إلى "القاف"، فانقلبت الواو ياءً...وقال الكسائيّ: ويجوز إشمام "القاف" الضمّ؛ ليدلّ على أنّه لما لم يسمّ فاعله، وهي لغة قيس، وكذلك: جِيءَ، وغِيضَ، وحِيلَ، وسِيقَ، وسِيءَ، وسِيئَتْ"[(٦)].

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) ينظر: ص٥٦٤، من البحث.

(٣) ينظر: جمهرة أنساب العرب ٢٤٣.

(٤) ينظر: ينظر: قلائد الجمان ص١١١.

(٥) البقرة: ١١.

(٦) ينظر: ص٢٧٧، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨- سُلَيْم:

قبيلة عظيمة من قيس عَيْلَان، من العدنانيّة. وهم: بنو سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عَيْلَان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. جاء في قلائد الجمان: "وهم أكثر قبائل قيس عدداً. وكانت مساكنهم في عالية نجد بالقرب من خَيْبَر. ومن منازلهم: حرّة سُلَيْم، وحرّة النّار، بين وادي القرى وتيماء...ومنهم بالصّعيد، والفيوم، والبُحَيْرة خلق كثير"(١).

يقول القرطبيّ رحمه الله- وهو يذكر اسم هذه القبيلة- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾(٢): "ومعنى نَكَص: رجع بلغة سُلَيْم"(٣).

٩- هوازن:

بطن من قيس عَيْلَان، من العدنانيّة، وهم: بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عَيْلَان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. له أفخاذ كثيرة، يجمعهم ثلاثة أجرام، كلّهم لبكر بن هوازن، وهم: بنو سعد بن بكر، وبنو معاوية بن بكر، وبنو منبّه بن بكر(٤). يقول عمر كحالة: "كانوا يقطنون في نجد ممّا يلي اليمن. ومن أوديتهم: حُنَيْن"(٥).

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة قول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾(٦): "قرأ أهل الكوفة: (فَلِإِمِّهِ الثُّلُثُ)، وهي لغة حكاها سيبويه. قال الكسائيّ: هي لغة كثير من هوازن، وهُذَيْل؛ ولأنّ اللّام لما كانت مكسورة، وكانت متّصلة بالحرف كرهوا ضمّة بعد كسرة، فأبدلوا من الضّمة كسرة؛ لأنّه ليس في الكلام (فِعُل)"(٧).

---

(١) ينظر: قلائد الجمان ص١٢٣-١٢٤.

(٢) الأنفال: ٤٨.

(٣) ينظر: ص٦٨٦، من البحث.

(٤) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص١٣، وجمهرة أنساب العرب ص٢٦٤.

(٥) ينظر: معجم قبائل العرب ١٢٣١/٣.

(٦) النّساء: ١١.

(٧) ينظر: ص٣٠٩، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- ثقيف:

بطن من هوازن، من العدنانيّة، اشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم: ثقيف، وهم: بنو ثقيف، واسمه قِسِيّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عَيْلَان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. ومن ثقيف: بنو جهم بن ثقيف، وبنو عوف بن ثقيف؛ ويعرفون بالأحلاف. كانت مواطنهم بالطّائف[(١)].

يقول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى- وهو يذكر اسم هذه القبيلة في جامعه-: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾[(٢)]: "(حتّى يقولا) نصب بـ"حتّى"؛ فلذلك حذفت منه "النّون"، ولغة هذيل وثقيف"عَتَّى" بالعين غير المعجمة"[(٣)].

١١- سعد بن بكر:

بطن من هوازن، من قيس عَيْلَان، من العدنانيّة. وهم: بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. وهم أصحاب غنم. منهم حليمة السعديّة التي أرضعت النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-[(٤)].

يقول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- في ذكر اسم هذه القبيلة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[(٥)]: "اختلف القرّاء في قراءة: (أَأَنْذَرْتَهُمْ)، فقرأ أهل المدينة، وأبو عمرو، والأعمش، وعبد الله بن أبي إسحاق: (أانْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الأولى وتسهيل الثّانية، واختارها الخليل وسيبويه، وهي لغة قريش وسعد بن بكر، وعليها قول الشّاعر:

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ ... وَبَيْنَ النَّقَا آنْتَ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ"[(٦)].

---

(١) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص١٣، ونهاية الأرب ص١٩٨، ومعجم قبائل العرب ٨/١.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) ينظر: ص١٥٥-١٥٦، من البحث.

(٤) ينظر: نهاية الأرب ص٢٩٠.

(٥) البقرة: ٦.

(٦) ينظر: ص٢٠٧، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢- بنو عامر:

بطن من هوازن، من قيس عيلان، من العدنانيّة. وهم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. جاء في معجم قبائل العرب: "أمّا منازلهم: فكانوا كلّهم بنجد، ثمّ نزلوا ناحية من الطّائف، مجاورين لعدوان أصهارهم، فنزلوا حولهم، وكانوا بذلك زماناً، ووقعت بين عدوان حرب وتشتّت أمرهم، فطمعت فيهم بنو عامر، وأخرجتهم من الطّائف، ونفوهم عنها، فكانت بنو عامر يتصيّفون الطّائف لطيبها وثمارها، ويتشتّون بلادهم من أرض نجد، لسعتها، وكثرة مراعيها، وإمراء كلئها، ويختارونها على الطّائف"(١).

يقول القرطبيّ-رحمه الله- وهو يذكر اسم هذه القبيلة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾(٢): "قوله تعالى: (وأمّا الذين كفروا)، لغة بني تميم، وبني عامر في" أمّا": أَيْمَا، يبدلون من إحدى الميمين "ياءً" كراهية التّضعيف، وعلى هذا ينشد بيت عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رَجلاً أيْما إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ ... فَيَضْحَى وأيْما بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ"(٣).

١٣- بنو عُقَيْل:

بطن من عامر بن صعصعة، من قيس عَيْلَان، من العدنانيّة. وهم: بنو عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عَيْلَان بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. كانت مساكنهم بالبحرين، ثمّ ساروا إلى العراق، وملكوا الكوفة، والبلاد الفراتيّة، وتغلّبوا على الجزيرة، والموصل، وملكوا تلك البلاد، وبقيت المملكة بأيديهم، حتّى غلبهم عليها الملوك السلجقيّون(٤).

---

(١) ينظر: معجم قبائل العرب ٢/٧٠٨-٧٠٩.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) ينظر: ص١٩٣، من البحث.

(٤) ينظر: قلائد الجمان ص١١٩، ونهاية الأرب ص٣٦٦، ومعجم قبائل العرب ٢/٨٠١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد جاء في (الجامع لأحكام القرآن) ذكر اسم هذه القبيلة، يقول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[(١)]: "قرأ عبد الله بن الزّبير، والأعمش، وغيرهما (الجُمْعَةِ): بإسكان "الميم" على التّخفيف، وهما لغتان. وجمعهما: جُمَع وَجُمُعَات. قال الفرّاء: يقال (الجُمْعَة) بسكون "الميم"، و(الجُمُعَة) بضمّ "الميم"، و(الجُمَعَة) بفتح "الميم"...وفتح "الميم" لغة بني عقيل"[(٢)].

١٤- أسد:

قبيلة عظيمة من العدنانيّة، تنتسب إلى أسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. كانت بلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد، وفي مجاورة طيّئ؛ ثمّ تفرّقوا من بلاد الحجاز بعد الإسلام على الأقطار، فنزلوا العراق، وسكنوا الكوفة منذ سنة: (١٩هـ)[(٣)].

وقد أورد الإمام القرطبيّ –رحمه الله- اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن) كثيراً، من ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[(٤)]: "أيْ: شدّة، وقوّة، وحميّة. وروى الفضل عن الأعمش، وعاصم: (غَلْظَة) بفتح الغين وإسكان اللّام. قال الفرّاء: لغة أهل الحجاز، وبني أسد بكسر الغين، ولغة بني تميم (غُلْظَة) بضمّ الغين"[(٥)].

١٥- بنو دُبَيْر:

بطن من أسد بن خُزَيْمة، من العدنانيّة. وهم: بنو دُبَيْر، واسمه: كعب بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. جاء في كتاب جمل من أنساب الأشراف: "وإنّما سمّي كعب: (دُبَيْر)؛

---

(١) الجمعة: ٩.

(٢) ينظر: ص٢٩٧، من البحث.

(٣) ينظر: نهاية الأرب ص٣٧، ومعجم قبائل العرب ٢١/١.

(٤) التّوبة: ١٢٣.

(٥) ينظر: ص٢٦٢، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنّه حمل شيئاً ثقيلاً فأدبر ظهره، وبنو دُبَيْر يقولون: إنّه أدبره السّلاح لكثرة حمله إيّاه"[(١)].

١٦- بنو فَقْعَس:

بطن من أسد بن خُزَيْمَة، من العدنانيّة. وهم: بنو فَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيْمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان[(٢)].

ومن مجيء اسمي هذين البطنين من أسد في (الجامع لأحكام القرآن) قول الإمام القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[(٣)]: "قوله: (قِيلَ) من القَوْل، وأصله: قُوِلَ، نقلت كسرة "الواو" إلى "القاف"، فانقلبت الواو ياءً...فأمّا هُذَيْل، وبنو دُبَيْر من أسد، وبنو فقعس، فيقولون: (قُولَ) بواو ساكنة"[(٤)].

١٧- بكر بن وائل:

قبيلة عظيمة من العدنانيّة، تنتسب إلى بكر بن وائل بن أسد بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. كانت ديارهم من اليمامة إلى البحرين، فأطراف سواد العراق، وقد تقدّمت شيئاً فشيئاً في العراق فقطنت على دجلة في المنطقة المدعوّة باسمهم: ديار بكر[(٥)].

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة في (الجامع لأحكام القرآن) قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(٦)]: "(يَسْتَحْيِي) أصله: يَسْتَحْيِيُ، عينه ولامه حرفا علّة؛ أعلّت اللّام منه بأن استثقلت الضّمة

(١) ينظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ ١٥٤/١١. وينظر: جمهرة أنساب العرب ص١٩٥، والأنساب للسمعانيّ ٣١٢/٥.

(٢) ينظر: نسب عدنان وقحطان ص٥، ونهاية الأرب ص٣٩٣، ومعجم قبائل العرب ٩٢٥/٣.

(٣) البقرة: ١١.

(٤) ينظر: ص٢٧٧، من البحث.

(٥) ينظر: معجم قبائل العرب ٩٣/١.

(٦) البقرة: ٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على "الياء" فسكنت...وقرأ ابن محيصن (يَسْتَحِي) بكسر "الحاء" و"ياء" واحدة ساكنة، وروي عن ابن كثير، وهي لغة تميم، وبكر بن وائل"[(١)].

١٨- بنو حنيفة:

قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانيّة، تنتسب إلى حنيفة بن لجيم بن صعب بن عليّ ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. كانت تقطن اليمامة، ثمّ تفرّقت في كثير من البلدان، فسكنت الزّوراء[(٢)].

قال القرطبيّ- رحمه الله- وهو يذكر اسم هذه القبيلة عند قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾[(٣)]: "قرأ حفص، والسُّلَمِيّ، وعيسى بن عمرو، وابن أبي إسحاق: (مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الرّاء وإسكان الهاء. وقرأ ابن عامر، والكوفيّون إلّا حفصاً بضمّ الرّاء وجزم الهاء. والباقون بفتح الرّاء والهاء...قال بعض أهل المعاني: (الرَّهْب) الكُمُّ بلغة حمير، وبني حنيفة"[(٤)].

١٨- عُكْل:

بطن من طابخة، من العدنانيّة. وهم: بنو عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نِزَار بن معدّ بن عدنان. وعُكْل: اسم أَمَة حضنتهم بعد هلاك أُمِّهم، فغلبت عليهم، وسمّوا باسمها. من قراهم: الشّقراء، والأشيقر[(٥)].

وممّا جاء في ذكر اسم هذه القبيلة، قول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) ينظر: ص٤٢٦، من البحث.

(٢) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص٣٠٩، والإنباه على قبائل الرّواة ص٨٧، ونهاية الأرب ص٢٣٩، ومعجم قبائل العرب ٣١٢/١.

(٣) القصص: ٣٢.

(٤) ينظر: ص٦٩٠-٦٩١، من البحث.

(٥) ينظر: جمهرة أنساب العرب ص١٩٨، والإنباه على قبائل الرّواة ص٦٢، ونهاية الأرب ص٣٦٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[١]: "أيْ: تعجبون بذهابها وتندمون ممّا حلّ بكم...وفي الصّحاح: وتفكّه، أيْ: تعجّب، ويقال: تندّم...وفيه لغتان: تفكّهون وتفكّنون، قال الفرّاء: و"النّون" لغة عُكْل"[٢].

وبعد هذه الدّراسة وجدنا الإمام القرطبيّ- رحمه الله- قد اهتمّ بلغات القبائل العربيّة التي وردت في القرآن الكريم، واهتمّ- أيضاً- بعزو ما ورد فيها من الكلمات إلى من تكلّم بها من القبائل أو البطون؛ إلّا أنّنا في بعض الكلمات نجده- عند تفسيره لبعض الآيات- يعزوها إلى عامّة أهل منطقة، أو إلى الفرع الذي ينتهي إليه نسب قبيلة أو بطن؛ من ذلك مثلاً:

١- حمير:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾[٣]: "أيْ: لم نعلم وقت أخذناه منك أنّه يسرق فلا نأخذه. وقال مجاهد، وقتادة: ما كنّا نعلم أنّ ابنك يسرق ويصير أمرنا إلى هذا، وإنّما قلنا: نحفظ أخانا فيما نطيق. وقال ابن عبّاس: يعنون أنّه سرق ليلاً وهم نيام، و(الغيب) هو: اللّيل بلغة حمير"[٤].

٢- مضر:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٥]، "(الرّجاء) هنا بمعنى: الخوف، أيْ: مالكم لا تخافون لله عظمة، وقدرة على أحدكم بالعقوبة...وقال ابن عبّاس- أيضاً- ومجاهد: مالكم لا ترون لله عظمة. وعن مجاهد والضحّاك: ما لكم لا تبالون

(١) الواقعة: ٦٥.
(٢) ينظر: ص١٤٤، من البحث.
(٣) يوسف: ٨١.
(٤) ينظر: ص٦٨٩، من البحث.
(٥) نوح: ١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لله عظمة. قال قطرب: هذه لغة حجازيّة، وهذيل، وخزاعة، ومضر يقولون: لم أَرْجُ: لم أبال"[١].

٣- ربيعة:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[٢]: "أيْ طبع الإنسان على كفران النّعمة. قال ابن عبّاس: (لَكَنُود) لكفور جحود لنعم الله. وقد روي عن ابن عبّاس- أيضاً- أنّه قال: (الكَنُود) بلسان كندة، وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة، ومضر: الكفور. وبلسان كنانة: البخيل السيّئ الملكة"[٣].

٤- أهل اليمن:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[٤]: "(وَبَسَر)، أيْ: كلح وجهه وتغيّر لونه...وقال قوم: (بَسَر) وقف لا يتقدّم ولا يتأخّر. قالوا: وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب، فلم يجئ ولم يذهب: قد بسر المركب، وأبسر أيْ: وقف"[٥].

٥- حضرموت:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[٦]: "أي طبع الإنسان على كفران النّعمة. قال ابن عبّاس: (لَكَنُود) لكفور جحود لنعم الله. وقد روي عن ابن عبّاس- أيضاً- أنّه قال: (الكَنُود) بلسان كندة، وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة، ومضر: الكفور. وبلسان كنانة: البخيل السيّئ الملكة"[٧].

---

(١) ينظر: ص٦٧٩، من البحث.

(٢) العاديات: ٦.

(٣) ينظر: ص٦٥٤، من البحث.

(٤) المدثّر: ٢٢.

(٥) ينظر: ص٦٣٩، من البحث.

(٦) العاديات: ٦.

(٧) ينظر: ص٦٥٤، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦- أهل عُمَان:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾[١]: "أيْ: عِنَباً، بلغة عُمَان، قاله الضحّاك"[٢].

٧- أهل نجد:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾[٣]: "وقرأ الحسن، وأبو حيوة: (السَّبْعُ) بسكون "الباء"، وهي لغة لأهل نجد"[٤].

٨- أهل الحجاز:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾[٥]: "وهو المديون المطلوب، يقرّ على نفسه بلسانه ليُعْلَم ما عليه. والإملاء والإملال لغتان، أملّ وأملى؛ فأملّ لغة أهل الحجاز. وبني أسد، وتميم تقول: أمليت. وجاء القرآن باللّغتين، قال عزّ وجلّ: ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[٦]، والأصل: أَمْلَلْتُ، أبدل من "اللاّم" ياءً؛ لأنّه أخفّ"[٧].

٩- أهل العالية:

يقول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[٨]: "وقرأ ابن مسعود، وأصحابه، والكسائيّ، وحمزة، وخلف: (والوِتْر) بكسر "الواو"، والباقون بفتح

---

(١) يوسف: ٣٦.

(٢) ينظر: ص٦٨٧، من البحث.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) ينظر: ص٢٩٥، من البحث.

(٥) البقرة: ٢٨٢.

(٦) الفرقان: ٥.

(٧) ينظر: ص١٩٤، من البحث.

(٨) الفجر: ٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

"الواو". وهما لغتان بمعنى واحد. وفي الصّحاح: الوِتْر بـ"الكسر": الفرد، والوَتْر بفتح "الواو": الذَّحْل. هذه لغة أهل العالية. فأمّا لغة أهل الحجاز فبالضدّ منهم. فأمّا تميم فبـ"الكسر" فيهما[١].

١٠- عليا مضر:

يقول القرطبيّ- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، "قرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وعاصم الجَحْدَرِيُّ: (وَمَحْيَيَّ) بتشديد "الياء" الثّانية من غير ألف، وهي لغة عليا مضر، يقولون: قَفَيَّ وعَصَيَّ"[٣].

١١- تهامة:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾[٤]: "(يُبَشِّرُكَ) بالتّشديد قراءة أهل المدينة. وقرأ حمزة: (يَبْشُرُكَ) مخفّفاً، وكذلك حُمَيد بن القيس المكيّ إلاّ أنّه كسر "الشّين" وضمّ "الياء" وخفّف "الباء". قال الأخفش: هي ثلاث لغات بمعنى واحد...وأمّا الثّانية: وهي قراءة عبد الله بن مسعود، فهي من: بَشَرَ يَبْشُرُ، وهي لغة تهامة"[٥].

١٢- الأنصار:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[٦]: "وقراءة العامّة (بِالبُخْل) بضمّ "الباء" وسكون "الخاء". وقرأ أنس، وعبيد بن عمير، ويحيى بن يعمر،

---

(١) ينظر: ص٢٦١، من البحث.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) ينظر: ص١٧٦، من البحث.

(٤) آل عمران: ٣٩.

(٥) ينظر: ص٤١٥، من البحث.

(٦) الحديد: ٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومجاهد، وحميد، وابن محيصن، وحمزة، والكسائيّ (بِالبَخَل) بفتحتين وهي لغة الأنصار"[(١)].

١٣- أهل الشّام:

يقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]."وهذه القراءات كلّها يرجع اشتقاقها إلى شيء واحد، إلى التّليين والتّذليل. و(دَرَسْتَ): من دَرَسَ يَدْرُسُ دِرَاسَةً، وهي القراءة على الغير. وقيل: درستُه، أيْ: ذلّلتُه بكثرة القراءة، وأصله: دَرَسَ الطّعامَ، أيْ: داسه. والدِّيَاس: الدِّرَاس بلغة أهل الشّام"[(٣)].

وبعد هذه المحاولة لمعرفة القبائل العربيّة ومنازلها على وجه التّقريب، ومعرفة البيئة الجغرافيّة لكلّ قبيلة- والتي تعين الباحث على فهم هذه الظّواهر اللغويّة- وأنّ السكّان لهذه البيئة عرب خلّص، يمكننا أن ننتقل إلى الحديث عن: (لغة القرآن الكريم، وآراء العلماء في ورود ألفاظ غير عربيّة فيه).

(١) ينظر: ص٢٩٤، من البحث.

(٢) الأنعام: ١٠٥.

(٣) ينظر: ص٦٨٥، من البحث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الرّابع: لغة القرآن الكريم، وآراء العلماء في ورود ألفاظ غير عربيّة فيه، ورأي القرطبيّ في ذلك

اختلف العلماء في ورود لغة من لغات العرب غير لغة قريش في القرآن الكريم؛ وقد جاء هذا الاختلاف في تفسيرهم لحديث النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- عن الأحرف السّبعة؛ فبعضهم يذهب إلى وجود لغات القبائل العربيّة في القرآن الكريم، ويستدلّ بما روي عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّه قال: "نزل القرآن على سبع لغات، منها خمسٌ بلغة العَجُز من هوازن". قال أبو عبيد: والعَجُز هم: سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. وهذه القبائل يقال لها: عليا هوازن، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى تميم. فهذه: عليا هوازن، وأمّا سفلى تميم: فبنو دَارِم"[(١)]. وقال أبو حاتم السجستانيّ: "نزل بلغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر"[(٢)].

وذهب بعضهم- منهم ابن قتيبة- إلى أنّ القرآن الكريم أُنْزِل بلغة قريش وحدها، قال: "لم ينزل القرآن إلّا بلغة قريش، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾"[(٣)].

وذهب فريق ثالث إلى التّوفيق بين المذهبين، قال الشّيخ جمال الدّين بن مالك[(٤)]: "أنزل الله القرآن بلغة الحجازيّين إلّا قليلاً فإنّه نزل بلغة التميميّين، فمن القليل إدغام: ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾[(٦)]، في قراءة غير نافع وابن

(١) ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص٣٤٠.
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١/١٦٩.
(٣) إبراهيم: ٤. وينظر: البرهان في علوم القرآن ١/٢١٨.
(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/٢٨٥، والإتقان ٢/١٢٣.
(٥) الحشر: ٤.
(٦) البقرة: ٢١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عامر[(١)]؛ فإنّ الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قَلَّ، والفكّ لغة أهل الحجاز ولهذا كثر، نحو: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، وقوله: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾[(٢)]، و﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)]، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ﴾[(٤)]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾[(٥)].

والرّاجح في هذا الخلاف: القول الأوّل الذي يقول بوجود لغات القبائل العربيّة في القرآن الكريم. وأمّا الآية التي استدلّ بها ابن قتيبة فلا تدلّ على قريش وحدها؛ فالعرب قوم النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-، وفي الآية أيضاً قراءة أخرى تؤيّد ما نقول، وهي: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلُسُنِ قَوْمِهِ)[(٦)]، قال ابن خالويه: "أراد جمع لسان، مثل: ثِمَار وثُمُر"[(٧)].

ويقول إبراهيم السامرائيّ: "اللّغات التي وردت في القرآن الكريم تكاد تكون جملة لغات العرب...وقولُ للكثيرين: إنّ القرآن نزل بلغة قريش، غير سديد. والذي وقع في كلام الله- تبارك اسمه- ينفي هذا الزّعم"[(٨)].

فلغات القبائل العربيّة مفرّقة في القرآن الكريم؛ بعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. وإنّ بعض هذه اللّغات أسعد من بعض وأكثر نصيباً. وهذا القول هو المذهب عند الإمام القرطبيّ- رحمه الله- والدّليل على ذلك: إيراده لغات القبائل العربيّة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

---

(١) ينظر: السّبعة في القرءات ص٢٤٥.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) نوح: ١٢.

(٥) الأنفال: ١٣.

(٦) قرأ بها: جناح بن حبيش. ينظر: مختصر في شواذّ القرآن ص٧٢.

(٧) السّابق.

(٨) ينظر: من سعة العربيّة لإبراهيم السامرائيّ ص١٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آراء العلماء في ورود ألفاظ غير عربيّة في القرآن:

اختلفت آراء العلماء في هذه المسألة مابين مانع من ذلك، وقائل بالورود، ومتوسّط بينهما.

القائلون بالمنع وأدلّتهم:

ذهب الإمام الشافعيّ، وأبو عبيدة، والإمام ابن جرير الطبريّ، والقاضي أبو بكر الباقلاّنيّ، وابن فارس إلى عدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾[(٢)].

وقد فصّل الإمام الشافعيّ القول في المسألة وردّ على المخالفين، قال في رسالته: "ومن جماع كتاب الله- عزّ وجلّ- العلم بأنّ جميع كتاب الله إنّما نزل بلسان العرب...وقد تكلّم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلّم فيه منه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السّلامة له إن شاء الله. فقال منهم قائل: إنّ في القرآن عربيّاً وأعجميّاً. والقرآن يدلّ على أنْ ليس من كتاب الله شيء إلّا بلسان العرب...ولعلّ من قال: إنّ في القرآن غير لسان العرب، وقُبِلَ ذلك منه ذَهَبَ إلى أنّ من القرآن خاصّاً يجهل بعضَه بعضُ العرب. ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيّ، ولكنّه لا يذهب منه شيء على عامّتها حتّى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه"[(٣)].

وقد سار الإمام ابن جرير الطبريّ على الطّريق نفسه، وتعرّض للردّ على المخالفين وإبطال دعواهم بأنّ في القرآن ألفاظاً من أصل غير عربيّ، مع توجيه لما رُوِي عن الصّحابة والتّابعين من نسبة ألفاظ من القرآن إلى لغات أعجميّة بما يخرج به عن صحّة الاستدلال، وهذا ما عقد له فصلاً خاصّاً في مقدّمة تفسيره، بعد أن استدلّ على عربيّة ألفاظ القرآن

---

(١) يوسف: ٢.

(٢) فصّلت: ٤٤.

(٣) ينظر: الرّسالة ص٣٤. وينظر: تفسير الإمام الشافعيّ ٩٨٨/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكريم، وأنّ ما ذكر أنّه بلسان غير العرب يحمل على التّوافق، قال في تفسيره: "القول في البيان عن الأحرف التي اتّفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم...ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما يتّفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها. كما قد وجدنا اتّفاقَ كثيرٍ منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة، وذلك كالدّرهم، والدّينار، والدّواة، والقلم، والقرطاس وغير ذلك ممّا يتعب إحصاؤه، ويملّ تعداده...قد دلّلنا على صحّة القول بما فيه الكفاية لمن وفّق لفهمه، على أنّ الله- جلّ ثناؤه- أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم، وعلى فساد قول من زعم أنّ منه ما ليس بلسان العرب ولغتها"(١).

وأمّا أبو عبيدة فقد شدّد النّكير على من ادّعى أنّ في القرآن من غير العربيّة، فقال في مجازه: "نزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فمن زعم أنّ فيه غير العربيّة فقد أعظم القول، ومن زعم أنّ (طه) بالنّبطيّة فقد أكبر القول، وإن لم يعلم ما هو؛ فهو افتتاح كلام، وهو اسم للسّورة وشعار لها. وقد يوافق اللّفظُ اللّفظَ ويقاربه ومعناهما واحد؛ أحدهما بالعربيّة، والآخر بالفارسيّة أو غيرها"(٢).

وقال ابن فارس في الصّاحبي: "ليس في كتاب الله- جلّ ثناؤه- شيء بغير لغة العرب. فالقول إذن ما قاله أبو عبيدة؛ وذلك أنّ القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهّم متوهّم أنّ العرب إنّما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنّه أتي بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه"(٣).

وقد ذهب إلى هذا القول من المعاصرين الشّيخ أحمد شاكر، محقّق كتاب (المعرَّب من الكلام الأعجميّ للجواليقيّ)، مخالفاً ما ذهب إليه صاحب الكتاب- أيْ: الجواليقيّ- من ترجيح وقوع المعرّب في القرآن بعد جريانه على لسان العرب، يقول في مقدّمته: "وهو قول

(١) ينظر: جامع البيان ١/١٣-٢٠.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ص١٧.

(٣) ينظر: الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ص٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينبو عنه التّحقيق، وإنّما ذهب إليه من ذهب إعظاماً لما رُوِي عن بعض الأقدمين في ألفاظ قرآنيّة أنّها معرّبة، وعجزاً عن تحقيق صحّة الرّواية عنهم، وعن تحقيق صحّة هذه الحروف في كلام العرب، ثمّ تقليداً لأولئك القائلين، وجمعاً بين القولين زعموا. والعرب أمّة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللّغات وجوداً؛ كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانيّة، والعبريّة، والسريانيّة وغيرها، بله الفارسيّة. وقد ذهب منها الشّيء الكثير بذهاب مدنيّتهم الأولى قبل التّاريخ؛ فلعلّ الألفاظ القرآنيّة التي يظنّ أنّ أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعلّها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده"[(١)].

آراء القائلين بجواز ورود ألفاظ غير عربيّة في القرآن الكريم:

وذهب الفريق الثّاني إلى جواز وقوع المعرّب في القرآن الكريم، منهم: أبو عبيد القاسم ابن سلّام، وابن النّقيب؛ وقد نقل السيوطيّ آراءهم وأدلّتهم في: (المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب)، و(الإتقان في علوم القرآن)، و(المزهر في علوم اللّغة وأنواعها)، وممّا ذكر عنهم ما يلي:

١- ما روي عن ابن عبّاس، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنّهم قالوا في أحرف كثيرة إنّها بلغات العجم، نحو: "(طه، واليمّ، والطّور، والربانيّون)؛ فيقال: إنّها بالسريانيّة. و(الصّراط، والقسطاس، والفردوس) يقال: إنّها بالروميّة. و(مشكاة، وكفلين)، يقال: إنّها بالحبشيّة. و(هَيْتَ لك) يقال: إنّها بالحورانيّة. وهذا قول أبي عبيد القاسم بن سلاّم الذي نسبه إلى أهل العلم من الفقهاء"[(٢)].

٢- ما اتّفق عليه النّحاة على منع صرف كثير من الأسماء الموجودة في القرآن الكريم للعلميّة والعجمة، كـ(إبراهيم) مثلاً. وإذا اتّفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس[(٣)].

---

(١) ينظر: المعرّب من الكلام الأعجميّ ص١١-١٣.

(٢) ينظر: المزهر ١/٢١٢.

(٣) ينظر: الإتقان ٢/١٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- ما ذكروه من حكمة وقوع المعرّب؛ أنّ القرآن الكريم قد حوى علوم الأوّلين والآخرين، ونبأ كلّ شيء؛ فلابدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللّغات والألسن، ليتمّ إحاطته بكلّ شيء؛ فاختير له من كلّ لغة أعذبها وأخفّها وأكثرها استعمالاً للعرب(١).

٤- أنّ من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزّلة: أنّها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم. والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الرّوم، والفرس، والحبشة شيء كثير. حكاه ابن النّقيب(٢).

وهذا القول هو المختار عند السيوطيّ، وقد صرّح به في كتابه: (المهذّب)، قال: "وأقوى ما رأيته للوقوع- وهو اختياري- ما أخرجه ابن جرير، قال: "حدّثنا ابن حميد، حدّثنا يعقوب القميّ عن جعفر عن ابن المغيرة عن سعيد بن جبير قال: "قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميّاً وعربيّاً؟، فأنزل الله: ﴿لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞ﴾(٣) الآية، فأنزل الله بعد هذه الآية القرآنَ بكلّ لسان، فيه: ﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾(٤) فارسية"(٥).

وقد مال إلى هذا القول من المعاصرين الدّكتور رمضان عبد التّواب، قال في كتابه: (فصول في فقه العربيّة)- بعد أن انتقد الشّيخ أحمد شاكر فيما ذهب إليه من عدم جواز وقوع المعرَّب في القرآن الكريم-: "لو ذهبنا نعدّد الأمثلة التي تدلّ على تعصّب الشّيخ أحمد شاكر ضدّ القول بوقوع المعرّب في القرآن، وهو تعصّب لا مبرّر له؛ إذ الكلمة المعرّبة تصبح- كما قلنا من قبل- عربيّة باستعمال العرب إيّاها على مناهجهم في لغتهم، غير أنّ ما دعا العلماء إلى القول بعدم أصالتها في العربيّة: أنّها تدلّ على شيء لم يكن له وجود في الأصل في البيئة العربيّة، وإنّما هو وافد مع اسمه إلى تلك البيئة...وهكذا نرى أنّه من العبث

(١) ينظر: المهذّب ص٦٢.
(٢) ينظر: السّابق.
(٣) فصّلت: ٤٤.
(٤) هود: ٨٢.
(٥) ينظر: المهذّب ص٦٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنكار وقوع المعرّب في العربيّة الفصحى والقرآن الكريم"[١].

الرّأي المتوسّط بين المنع والورود:

ويذهب الفريق الثّالث إلى التوسّط بين الفريقين، من هؤلاء: أبو عبيد القاسم بن سلّام- أيضاً- نقل السيوطيّ قوله، قال: "والصّواب عندي: مذهب فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها أعجميّة كما قال الفقهاء، لكنّها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربيّة، ثمّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب؛ فمن قال إنّها عربيّة فهو صادق، ومن قال إنّها أعجميّة فصادق"[٢].

وقد انضمّ إلى هذا الفريق من المعاصرين الدّكتور طاهر سليمان حمودة، حيث قال- بعد أن عرض أقوال العلماء في ذلك-: "وثمّة رأي حاول صاحبه التوسّط بين المنكرين والمثبتين، وهو في الحقيقة أصوب هذه الآراء، وأكثرها إدراكاً للواقع اللغويّ؛ وما ينتج عن اختلاط اللّغات بعضها ببعض من وقوع التّأثير والتأثّر في الألفاظ، واستعمال كلّ لغة بعض ألفاظ الأخرى بعد تهذيبها وصقلها وصوغها بصيغها المألوفة، وهو ما يعرف في العربيّة: بالتّعريب، وقد وقع هذا التّعريب في العربيّة، ووجدت ألفاظ أجنبيّة استعملها العرب قبل الإسلام في لغتهم نتيجة الاختلاط بينهم وبين غيرهم من الأمم"[٣].

رأي الإمام القرطبيّ واختياره:

أيّد الإمام القرطبيّ- رحمه الله- مذهب الفريق الأوّل القائل: بعدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم، وقد دلّ على رأيه بصراحة ووضوح في كثير من الكلمات التي قيل عنها بأنّها معربّة؛ منها: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٤] : "...قال غيره: (جبريل) اسم أعجميّ عرّبته العرب، فلها فيه هذه اللّغات؛

(١) ينظر: فصول في فقه العربيّة ص٣٦٢-٣٦٣.

(٢) ينظر: المهذّب ص٦٥، والمزهر ٢١٢/١، والإتقان ١٢٩/٢.

(٣) ينظر: جلال الدّين السيوطيّ عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدّرس اللغويّ ص١٩١-١٩٢.

(٤) البقرة: ٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذلك لم ينصرف. قلتُ: قد تقدّم في أوّل الكتاب أنّ الصّحيح في هذه الألفاظ عربيّة نزل بها جبريل بلسان عربيّ مبين"[١].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾[٢]، "وقيل (النّاشئة): مصدر بمعنى قيام اللّيل، كالخاطئة والكاذبة، أيْ: إنّ نشأة اللّيل هي أشدّ وطئاً. وقيل إنّ ناشئة اللّيل: قيام اللّيل. قال ابن مسعود: الحبشة يقولون: نشأ، أيْ: قام؛ فلعلّه أراد أنّ الكلمة عربيّة، ولكنّها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم، وإلّا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب. وقد تقدّم بيان هذا في مقدّمة الكتاب مستوفى"[٣].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾[٤]، "ف(الإستبرق): الدّيباج. قال ابن بحر: المنسوج بالذّهب. قال القتبيّ: فارسيّ معرّب. قال الجوهريّ: وتصغيره أُبَيْرِق[٥]. وقيل: هو (إِسْتَفْعَل) من البريق. والصّحيح أنّه وفاق بين اللّغتين؛ إذْ ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب، على ما تقدّم، والله أعلم"[٦].

ويقول- رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾[٧]، وليس في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾[٨] ما يدلّ على أنّ لفظ: (سجّين) ليس عربيّاً، كما لا يدلّ في قوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾[٩]، بل هو تعظيم لأمر (سجّين). وقد مضى في مقدّمة الكتاب- والحمد لله- أنّه ليس في القرآن غير عربيّ"[١٠].

---

(١) ينظر: تفسيره ٢/٣٨.
(٢) المزمّل: ٦.
(٣) ينظر: تفسيره ١٩/٣٩.
(٤) الكهف: ٣١.
(٥) ينظر: الصّحاح تاج اللّغة ٤/١٤٥٠.
(٦) ينظر: تفسيره ١٠/٣٩٧.
(٧) المطفّفين: ٧.
(٨) المطفّفين: ٨.
(٩) القارعة: ١، ٢، ٣.
(١٠) ينظر: تفسيره ١٩/٢٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ممّا سبق من النّصوص نخلص إلى القول: إنّ الخلاف بين العلماء حول هذه المسألة ينحصر في أمرين اثنين:

الأوّل: أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، لا دخيل فيه ولا غريب من لغة أخرى، وأنّ ما ذكر عن بعض الألفاظ بأنّها أعجميّة؛ فهي على سبيل التّوافق أو التّوارد بين اللّغات، وهذا أمر معروف في اللّغات، وهو قليل شاذّ.

الثّاني: أنّ القرآن الكريم عربيّ المبنى، فصيح المعنى؛ وهذا أمر متفّق عليه عند الجميع، ولكنّ الخلاف حول هذه الكلمات التي نقل بأنّها أعجميّة، فذهب بعض العلماء إلى القول بأنّ أصولها أعجميّة، ولكن باستعمال العرب لها وتغيير بعض حروفها أصبحت عربيّة فصيحة. وهذا القول هو الرّاجح والمختار، وهو أقرب إلى الواقع؛ إذْ من المعروف أنّ الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم كان موجوداً في مكّة المكرّمة عن طريق التّجارة وغيرها، ممّا أدّى إلى التّأثر والتّأثير في اللّغة، فدخلت إلى العربيّة بعض ألفاظهم مع شيء من التّحوير في الصّيغة والصّوت. ونجد ذلك في أشعار الجاهليّين، ولاسيّما من أكثر الدّخول بلاد فارس، والرّوم من الشّعراء. وقد أشار إلى هذا القول الدّكتور طاهر سليمان حمودة، قال: "وقد كان بمكّة جاليات أجنبيّة من الحبشة، والرّوم، والفرس ممّن اشتغلوا بالتّجارة وأقاموا بها، وقد دخلت إلى العربيّة بعض ألفاظهم بعد شيء من التّحوير في أصواتها وصيغها لتناسب الأصوات والصّيغ العربيّة، كما أنّ اختلاط العرب بالأمم المحيطة بهم- وَهُمْ طريق التّجارة وأداتها بين الشّرق والغرب- معروف، ونلاحظ مصداق ذلك في أشعار الجاهليّين لا سيّما من أكثر منهم دخول بلاد الفرس، والرّوم، أو البلاد المجاورة لها؛ فنلاحظ لديهم استعمال الألفاظ الأجنبيّة بعد تعريبها. والقول الذي يشير إلى هذه الحقيقة ويرى استعمال الألفاظ المعربة في القرآن الكريم بعد أن عرّبتها العرب هو ما نسب إلى أبي عبيد القاسم بن سلّام، وقد نقل عنه السيوطيّ قوله[(١)]: (والصّواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها أعجميّة كما قال الفقهاء؛ لكنّها وقعت للعرب فعرّبتها

(١) ينظر: المهذّب ص٦٥، والمزهر ٢١٢/١، والإتقان ١٢٩/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة، ثمّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنّها عربيّة فهو صادق، ومن قال عجميّة فصادق)"[١].

وقد ذكر الإمام القرطبيّ- رحمه الله- تفصيل هذه الأقوال كلّها عند حديثه عن هذه المسألة، فقال في مقدّمة تفسيره: "(باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أو لا؟)- قال- لا خلاف بين الأئمّة أنّه ليس في القرآن كلام مركّب على أساليب غير العرب، وأنّ فيه أسماءً أعلاماً لمن لسانه غير العرب، كـ(إسرائيل، وجبريل، وعمران، ونوح، ولوط). واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من كلام غير العرب؟.

فذهب القاضي أبو بكر بن الطيّب، والطبريّ، وغيرهما إلى: أنّ ذلك لا يوجد فيه، وأنّ القرآن عربيّ صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللّغات إنّما اتّفق فيها أن تواردت اللّغات عليها، فتكلّمت بها العرب، والفرس، والحبشة، وغيرهم.

وذهب بعضهم إلى: وجودها فيه، وأنّ تلك الألفاظ لقلّتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيّاً مبيناً، ولا رسول الله عن كونه متكلّماً بلسان قومه؛ فالمشكاة: الكوّة. ونشأ: قام من اللّيل، ومنه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾[٢]. و ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾[٣]، أيْ: ضعفين. و﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٖ﴾[٤]، أيْ: الأسد؛ كلّه بلسان الحبشة. والغسّاق: البارد المنتن، بلسان التّرك. والقسطاس: الميزان، بلغة الرّوم. والسجّيل: الحجارة والطّين، بلسان الفرس. والطّور: الجبل. واليمّ: البحر، بالسريانيّة. والتنّور: وجه الأرض، بالعجميّة.

قال ابن عطيّة: "فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنّها في الأصل أعجميّة، لكن استعملتها العرب وعرّبتها، فهي عربيّة بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن

(١) ينظر: جلال الدّين السيوطيّ عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدّرس اللغويّ ص١٩٢.

(٢) المزمّل: ٦.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) المدثّر: ٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش- وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشّام، وكسفر عمر بن الخطّاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجّة في اللّغة-، فَعَلِقَت العربُ بهذا كلّه ألفاظاً أعجميّة غيّرت بعضها بالنّقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتّى جرت مجرى العربيّ الصّحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحدّ نزل بها القرآن؛ فإن جهلها عربيّ ما فكجهله الصّريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عبّاس معنى (فاطر) إلى غير ذلك- قال ابن عطيّة- وما ذهب إليه الطبريّ رحمه الله من أنّ اللّغتين اتّفقتا في لفظة فذلك بعيد، بل إحداهما: أصل، والأخرى: فرع في الأكثر؛ لأنّا لاندفع- أيضاً- جواز الاتّفاق قليلاً شاذّاً"[(١)].

قال غيره: والأوّل أصحّ. وقوله: هي أصل في كلام غيرهم دخيلة في كلامهم، ليس بأولى من العكس؛ فإنّ العرب لا يخلو أن تكون تخاطب بها أو لا؛ فإن كان الأوّل فهي من كلامهم، إذْ لا معنى للغتهم وكلامهم إلّا ما كان كذلك عندهم، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة.

فإن قيل: ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه. قلنا: ومن سلّم لكم أنّكم حصرتم أوزانهم حتّى تخرجوا هذه منها، فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب، وردّ هذه الأسماء إليها على الطّريقة النحويّة. وأمّا إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذٍ لا يكون القرآن عربيّاً مبيناً، ولا يكون الرّسول مخاطباً لقومه بلسانهم، والله أعلم"[(٢)]. انتهى كلامه.

---

(١) ينظر: المحرّر الوجيز ١/٥١.

(٢) ينظر: تفسيره ١/٦٨-٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الخامس: أهميّة دراسة لغات القبائل العربيّة وطرقها قديماً وحديثاً، ومصادرها:

تساعد دراسة اللّغات المختلفة التي تنتمي إلى لغة واحدة- من وجهة نظر علم اللّغة الحديث- على فهم طبيعة تلك اللّغة، ومراحل نشوئها وتطوّرها، وبيان تاريخها، والكشف عن تأثير البيئة في ذلك كلّه.

بل وتعدّ دراسة اللّهجات (اللّغات) من أحدث الاتّجاهات في البحوث اللّغويّة؛ فلقد ظهرت ونمت في الجامعات الأوروبيّة خلال القرنين: (التّاسع عشر، والعشرين) حتّى أصبحت الآن عنصراً مهمّاً بين الدّراسات اللغويّة الحديثة، وأُسِّسَت لها في بعض الجامعات الرّاقية فروعٌ خاصّة بدراستها تُعْنى بشرحها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتيّاً يبقى على مرّ الزّمن.

ويذكر الدّكتور إبراهيم أنيس في كتابه: (في اللّهجات العربيّة) أنّ أوّل مؤلَّف في اللّغات العربيّة- في العصر الحديث- هو تلك الرّسالة الصّغيرة التي ألقاها حفني ناصف بك في مؤتمر المستشرقين في فينّا عام: (١٣٠٤هـ)، والتي سمّاها: (مميّزات لغات العرب)[(١)].

كما يذكر في كتابه- أيضاً- الذي تناول فيه اللّغات العربيّة القديمة، معتمداً على الرّوايات القديمة التي سجّلها اللغويّون العرب في كتب اللّغة، والأدب، والتّاريخ؛ واعتبر الطّريقة العلميّة الصّحيحة التي تبنى عليها دراسة اللّغات العربيّة القديمة تعتمد على ثلاث دعائم:

أوّلها: دراسة اللّهجات العربيّة الحديثة في كلّ البيئات العربيّة دراسة مستفيضة؛ ويقتضي ذلك جهد جماعات وهيئات لا فرد، والسّفر إلى تلك البيئات، والإقامة فيها للتعرّف على خصائصها وما امتازت به.

---

(١) ينظر: في اللّهجات العربيّة لإبراهيم أنيس ص٩-١٠. وينظر: المقتضب في لهجات العرب ص٤٣، ولهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة ص٣٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيها: دراسة القراءات القرآنيّة دراسة واسعة، وتطبيق روايات القراءات على ما يسمع من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربيّة المختلفة باستخدام النظريّات الصوتيّة الحديثة، والمقاييس والآلات المستخدمة في معامل الأصوات؛ لأنّ القراءات القرآنيّة احتفظت بعناصر هامّة مرجعها اختلاف اللّغات العربيّة القديمة.

ثالثها: جمع الرّوايات المتناثرة في بطون كتب اللّغة والأدب ممّا يمتّ إلى اللّغات القديمة بصلة، وتحقيقها وتمحيصها، وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة، أو رواية ممسوخة، سالكين طريقة تتبّع السّند التي عني بها علماء الحديث لنميّز الحقّ من الباطل، والصّحيح من الزّائف. هذا إلى جانب دراسة تنقّلات القبائل العربيّة قبل بعثة الرّسول محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- وبعدها وبيئاتها الاجتماعيّة، وما خالطت من أمم أو شعوب. وبعد هذا كلّه تأتي مرحلة المقارنة، واستنباط القوانين التي خضعت لها اللّغات العربيّة في عصورها الأولى، وقوانين تطوّرها بعد الفتح الإسلاميّ[(١)].

ويرى الدّكتور أحمد علم الدّين الجنديّ في كتابه: (اللّهجات العربيّة في التّراث) أنّ خير طريق لدراسة اللّهجات أن تدرس متّصلة بالإنسان، لا أن تدرس عن طريق الكتب؛ لأنّ الكتابة العربيّة لا تمثّل اللّهجات وإنّما هي اصطلاح فقط، بدليل أنّها لم تنقل اللّهجات كما كان ينطقها أهلها لأنّها جامدة هامدة، واللّغة كائن حيّ متطوّر؛ ولهذا كثيراً ما يقع سوء الفهم واللّبس في اللّهجات على عاتق الكتابة. كما أنّ معرفة الجوّ الذي قيلت فيه اللّهجة يساعد على فهمها ودراستها[(٢)].

ويرى الدّكتور غالب فاضل المطلبيّ في كتابه: (لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة) أن تقوم هذه الدّراسة على ملاحظة طبيعة الأداء من حيث السّرعة والتأنّي بوصفه الأساس في نشوء الظّواهر اللغويّة، وبما أنّ اللّهجات القديمة لها تأثير قويّ على اللّهجات الحديثة؛ لذا يجب أن ينظر إليها بوصفها ظواهر لغويّة عربيّة لا يمكن التّغاضي عنها في دراسة اللّغة

(١) ينظر: في اللّهجات العربيّة لإبراهيم أنيس ص١٠-١٣.

(٢) ينظر: اللّهجات العربيّة في التّراث ص٨١-٩١، واللّغات العربيّة في تفسير أبي حيّان ص٣٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العربيّة ومراحل تطوّرها[١].

ويرى الدّكتور عبده الراجحيّ في كتابه: (اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة) ضرورة الاعتماد في دراسة اللّغات على دراسة الظّاهرة اللغويّة عن طريق انقسام البيئة إلى بدويّة وحضريّة؛ فالدّراسة البيئيّة أو الجغرافيّة تعين على فهم أيّ ظاهرة منسوبة لقبيلة بذاتها فهماً صحيحاً؛ لأنّ القبائل التي تعيش حياة تحضّر واستقرار تميل إلى طرائق في اللّغة تختلف عن تلك التي تميل إليها القبائل البدويّة. كما يرى ضرورة محاولة فهم الواقع اللغويّ للعربيّة قبل بعثة الرّسول محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- كما تمثّله القراءات القرآنيّة؛ فهي مصدر موثّق لأنّها وصلت إلينا بالتّواتر عن ثقات عدول، وذلك بتحديد كثير من الظّواهر اللهجيّة قبل الإسلام وعزوها إلى أصحابها ممّا يعين في التّاريخ لهذه اللّغة تاريخيّاً يعتمد على المنهج العلميّ[٢].

وترجع أهميّة دراسة اللّغات العربيّة إلى ما يلي[٣]:

١- إنّ دراسة اللّغات العربيّة تعين الباحث اللغويّ على تصوّر التطوّر اللغويّ للعربيّة وفهمه، وتأصيل الدّرس اللغويّ. ولذا يجب أن تدرس اللّغات العربيّة القديمة من مصادرها المختلفة، من القراءات القرآنيّة، والرّوايات المتناثرة في بطون كتب اللّغة، والأدب، والتّاريخ وغيرها، ومن الآثار والنّقوش في شبه الجزيرة العربيّة للوقوف على تصوّر التطوّر اللغويّ.

٢- تفيد دراسة اللّغات العربيّة القديمة في معرفة مصادر القراءات القرآنيّة المختلفة التي رويت لنا غير منسوبة إلى لغة معيّنة.

٣- التوسّع في دراسة جميع اللّغات العربيّة القديمة يزيد اللّغة العربيّة ثروة، ويمنحها قوّة.

٤- البحث في اللّهجات العربيّة في الوطن العربيّ يرشدنا إلى معرفة مصادر هذه اللّهجات، وأنّ كثيراً منها يرجع إلى لغات القبائل العربيّة القديمة.

---

(١) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة ص٢٩٠.

(٢) ينظر: اللّهجات العربيّة في القراءات القرآنيّة ص٢٠٥.

(٣) ينظر: المقتضب في لهجات العرب ص٤٣-٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالنّطق الدّارج في مصر مثلاً لكلمة: (سكرى) هو: سكرانة، يرجع إلى لغة بني أسد. وكذلك نطقهم لكلمتي: (مدين، ومعيب) هو: مديون ومعيوب، يرجع إلى لغة تميم التي تتمّ اسم المفعول من الفعل الثلاثيّ الأجوف اليائيّ. والنّطق لكلمة: (شَعِير، ورَغِيف) هو: شِعِير ورِغِيف- بكسر الفاء- يرجع إلى لهجة تميم، حيث يكسّرون أوّل: (فَعِيل) إذا كان ثانيه حرفاً من أحرف الحلق. والنّطق لـ(لام) الجرّ بالكسر في نحو: المال لِك يرجع إلى لغة قضاعة. والنّطق للضّميرين: (هُوَ وهِيَ): هُوَّ وهِيَّ- بتشديد الواو والياء- يرجع إلى لغة همدان[١].

٥- يمكننا عن طريق دراسة اللّهجات العربيّة الحديثة أن نتعرّف على ما جدّ فيها من مادّة، وعلى المصدر الذي دخلت منه إليها؛ خصوصاً بعد أن أصبح لعلم اللّغة الحديث مناهجه في جمع المادّة اللغويّة، وتحليلها على المستويات الصوتيّة والنحويّة والقاموسيّة؛ وبعد أن ظهرت المخترعات المختلفة التي تمدّنا بوسائل حديثة ودقيقة للتّسجيل والتّحليل.

٦- اللّهجات العربيّة الحديثة هي المستودع الذي ترسّبت فيه ظواهر لغويّة كثيرة انقرضت من الاستعمال الأدبيّ، وقد يكون بعض هذه الظّواهر باقياً من بعض اللّغات الجاهليّة أو الإسلاميّة، وقد يكون بعضها عربيّاً فصيحاً ندر استعماله، وبواسطة المادّة اللغويّة المتخلفة في اللّهجات الحديثة ودراستها يمكن أن نهتدي إلى أصل بعض مواد اللّغة العربيّة، أو نتعرّف على الطّريق الذي سلكته ظاهرة لغويّة ما حتّى تطوّرت، واتّخذت مظهراً آخر في العربيّة الفصحى. ولذا يمكن القول بأنّ الأبحاث اللغويّة التاريخيّة تعتمد بصفة أساسيّة على اللّهجات الحديثة[٢].

وبعد هذا العرض تظهر لنا أهميّة دراسة اللّغات (اللّهجات) القديمة والحديثة؛ لأنّ تلك اللّهجات لا زالت تحتفظ بسمات اللّغة العربيّة المشتركة، فينظر لتلك اللّهجات بوصفها ظواهر لغويّة عربيّة لا يمكن إغفالها في دراسة اللّغة العربيّة ومراحل تطوّرها، مع أهميّة

(١) ينظر: المقتضب في لهجات العرب ص٤٤-٤٥.

(٢) ينظر: العربيّة ولهجاتها لعبد الرّحمن أيّوب ص٣٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دراسة اللّغات العربيّة القديمة على أساس أصغر وحدة قبليّة[١]؛ لأنّها تمثّل جزءاً من تاريخ العربيّة.

كما تظهر لنا أهميّة أخذ اللّغات من مصادرها المختلفة المتمثّلة في مصنّفات اللغويّين العرب القدماء في اللّغات العربيّة القديمة. وقد سبق ذكر هذه المصنّفات في المطلب الثّاني: (المؤلّفات في لغات القبائل العربيّة).

(١) يقول الدّكتور أحمد علم الدّين الجنديّ: "...وللأسف هذا ما حدث فعلاً، ضاعت الوحدة الاجتماعيّة الصّغرى، وأصبحنا لا نرى إلّا وحدات ضخمة كالعزو إلى تميم، أو أسد، أو ربيعة، أو مضر، أو اليمن، أو الحجاز، أو نجد؛ وكلّها وحدات ضخمة مشوّهة واسعة الحدود والبطون، وكلّها بالطّبع لا ترضي الباحث ولا تشفي غلّته؛ فإذا ما طالعنا العلماء بالعزو إلى قبيلة تميم مثلاً، فماذا يقصد بتميم، هل كلّ بطونها وعمائرها وفصائلها أو بعضها؟ وإذا كان بعضها فلم سكتت المصادر عن تعيين هذا البعض في كثير من الأحيان؟". ينظر: اللّهجات العربيّة في التّراث ص٨٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في